

DEAN
UNIVERSITY LIBRARIES

عمادة شؤون المكتبات

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Higher Education
Riyad University
RIYAD, SAUDI ARABIA

No. .... : الرقم   Date .... : التاريخ

٢١٧ر٠٨
م
السيف اليماني لمن قال بحل استماع الآلات والمغاني، تأليف البرلسي، مصطفى بن رمضان-١٢٦٣هـ. بخط أمين الزيداني سنة ١٣٢١هـ.

١٠ ق ٢٩ س ٢٨×٢٠سم

٦٨١١
١
م

نسخة حسنة، ضمن مجموع (ق ١- ١٠)، خطها نسخ معتاد، طبع سنة ١٣٢٤هـ.

دار الكتب المصرية ١ : ٤٨٤ الاعلام ٨:١٣٤

١- المذهب المالكي، فقه المذاهب الاسلامية

أ- المؤلف ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ.

ف ١٢٨٠
٢

١٣٩٦/٢/٢٤

٢١٧ر٠٨
م
مناظرة بين صاحب غناء وصاحب قرآن. كتبه أمين الزيداني سنة ١٣٢١هـ

٢٨ ق ٢٩ س ٢٨×٢٠سم

٦٨١١
٢
م

نسخة حسنة، ضمن مجموع (ق ١١ - ٣٨)، خطها نسخ معتاد.

١- فقه المذاهب الاسلامية أ- الناسخ ب- تاريخ النسخ.

ف ١٢٨٠
٢

١٤٠٩/٢/٢٥

ع١٩

١

هذا كتاب السيف اليماني لمن قال
بحل استماع الالات والمغاني
او السم القاتل للمفتي المتساهل
للعلامة الفاضل الشيخ مصطفى
البولاقي

م

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
قال شيخنا العلامة ابو يحي مصطفى البرلسي المالكي الازهري الشهير بالبولاقي
حفظه الله تعالى ولطف به وبالمسلمين يوم التلاقي ، الحمد لله الذي يقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق واظهر رسوله بالهدي ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المعاند والمنافق ، والصلاة والسلام
على من بعث لتتميم مكارم الاخلاق ، المطهر شرعه من كل رذيلة وخصلة
ذميمة يستحلها الفساق ، وعلى آله واصحابه والتابعين خصوصا من
اراد الله به الخير ففقهه في الدين ، اما بعد فقد بلغنا عن ثغر اسكندرية
المحروسة وقاها الله من السوء والبوس انه قد ظهر به عالم يفتي باباحة سماع
الغنا بالالات ذوات الاوتار وانه نسب ذلك لمذاهب الائمة وبعض
الصحابة وعلماء الامصار وانه شنع على من انكر ذلك وقال بالتحريم فقلنا
سبحان الله هذا بهتان عظيم وكذبنا الناقل واتهمناه واعرضنا عن حديثه
وطرحناه لكونه ذكر رجلا كنا نظن فيه العلم والعقل والدين وما كنا
نتهمه بشيئ من مجون الجهلة والمجانين الي ان وصلت الينا فتيا بخطه وهو
عندنا معروف فتحققنا ان النقل على الصحة بمقتضى الخط والحروف وجعلت
اقول انا لله وانا اليه راجعون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما
يعلنون واخذت اتاملها سطرا سطرا واقدم رجلا واوخر اخري ثم انقدح
في نفسي ان الكتب في شانها مطلوب وانه وان لم يكن واجبا فهو مندوب
لان الامر وان كان اظهر من ان يخفى على العاقل الكامل لكن لفساد الوقت
وزخرفة العقول قد يخفى على القاصر والجاهل لكني اقتصرت من ذلك
على مذهبي الذي اشتغل بحفظه ونقله وغير مذهبي يسال عنه من اهله
فاقول وبالله استعين نص سوال الفتيا ما قولكم ادام الله (اول الفتيا)
النفع بكم في رجل شهر عنه انه من العلماء المالكية دخل في مجلس احد
الوزراء في وليمة عرس متعلق بسعادة ذلك الوزير وكان في ذلك
المجلس جماعة من العلماء حنفية ومالكية وكان سعادة ذلك الوزير قدام
باحضار الموسيقة وضربهم وغناهم عليها فضربوا وغنوا بغناء خال من
الفحش من كلام العارف بالله سيدي علي وفا رضي الله عنه فانكر ذلك
الرجل الداخل على من كان بذلك المجلس حتى شافههم بالسب وابطل الغناء
واقام اصحاب الموسيقة من ذلك المجلس فهل انكاره ذلك ليس في محله بالنسبة


للمذاهب

للمذاهب الثلاثة ابي حنيفة ومالك والشافعي رضى الله عنهم لكون الغنا المذكور
خاليا عن الفحش مع ان المسئلة خلافية في المذاهب المذكورة افيدونا الجواب
بالتوضيح والنص الصحيح من نقول المذاهب الثلاثة المذكورة حتى نعلم حكم
الله في ذلك ولكم الثواب من الملك الوهاب ونص المقصود من الجواب
اما على مذهب الامام مالك فلان سماع الاوتار قد ذهب الي اباحته
جمع من علمائهم حكى الامام ابن عرفة في مختصره المشهور عن ابن حبيب
احد الائمة المجتهدين في مذهب مالك بل نقل حضور مجلس العيدان عن الامام
مالك رضى الله عنه نقل الامام ابن عرفة في مختصره المذكور عن تاريخ الخطيب
ابن ابي بكر ابن ثابت فذكر ان ابراهيم بن سعد المدني قدم العراق فاكرمه الرشيد
فسئل عن الغناء فافتى باباحته فاتاه بعض المحدثين ليسمع منه احاديث الزهري
فسمعه يغني فقال كنت حريصا على السماع منك فاما الان فلا سمعت منك
حرفا ابدا فقال اذا لا فقدت الا شخصك علي وعلي ان حدثت ببغداد ما اقمت
حديثا حتى اغني قبله فبلغ ذلك الرشيد فدعي به فساله عن حديث المخزومية
التى قطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرقة الحلي فدعا بعود فقال
الرشيد اعود المجمر فقال لا ولكن عود الطرب فتبسم ففهمها ابراهيم بن سعد
فقال له بلغك يا امير المومنين حديث الذي الجاني الان حلفت فقال نعم فدعا
له الرشيد فغناه يا ام طلحة ان البين قد افدي (الفراق / قرب) قل الثواء (الاقامة) لان كان الرحيل غدا
فقال له الرشيد من كان منكم من فقهائكم يكره السماع فقال من ربطه الله فقال
هل بلغك عن مالك بن انس في ذلك شيء قال لا والله الا اني اخبرني مخبر انهم
اجتمعوا في مدعاة كانت في بيت يربوع وهم يوميذ جلة ومالك اقلهم
في فقهه وقدره وهم دفوف ومعازف وعيدان ويلعبون ومع مالك
دف وهو يغنيهم سليما ارعت بينا ، فاين تظننا اينا وقد قالت
لاتراب لها زهر تلاقينا ، تعالينا فقد طاب لنا العيش تعالينا فضحك
الرشيد ووصله بمال عظيم ثم قال الامام ابن عرفة قلت امامة ابي بكر الخطيب
وعدالته ثابتة وابراهيم بن سعد خرج له اهل الكتب الستة اهـ وهذا التعدل
عن ابن عرفة مشعر بميله الى الاباحة وقال الامام ابو بكر بن العربي المالكي
في شرحه على سنن الترمذي لما تكلم على اباحة الغناء وان انضاف الي ذلك
عود فهو داخل في قول ابي بكر الصديق رضى الله عنه في قوله مزمار الشياطين
في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم فانه يوم عيد فلا يوثر في التحريم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فانها كلها آلات تقوي بها قلوب الضعفاء وتنشرح النفوس بها والف الاستاذ
ابو المواهب التونسي رسالة في اباحة السماع حكى فيها سماع الاوتار عن جمع
من الصحابة والتابعين فذكر منهم ابن عمر وعبد الله ابن جعفر وعبد الله
ابن الزبير وعبد الرحمن بن حسان وسعيد بن المسيب وعطا بن ابي رباح
والشعبي وابن ابي عتيق واكثر فقهاء المدينة اهـ وابو المواهب المذكور من اعيان
علماء المالكية واحد اقطاب العارفين الشاذلية ذكره الامام الشعراني
في طبقات الصوفية وطول ترجمته ثم قال وغير خاف على من له حظ من علم
انه حيث كانت مسئلة الاوتار من المسائل التي حكى فيها الخلاف عند الصدر شيع
الاول وغيرهم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من مشايخ المذاهب فسبيلها
سبيل غيرها من المسائل الاجتهادية التي لا يتجه فيها الانكار لان اختلاف
العلماء رحمة من الله كما جاء به الاخبار التي عمل بها الايمة الكبار ومنهم
الامام مالك رضي الله عنه فقد روي الخطيب في تاريخه ان هارون الرشيد
قال لمالك رضي الله عنه يا ابي عبد الله نكتب هذه الكتب ونفرقها في افاق
الاسلام فتحمل عليها الامة كل يتبع ما صح عنه وكل على هدى وكل يريد الله
وقد نص جمع من المشايخ الحنفية وغيرهم انه انما ينكر ما اجمع العلماء على تحريمه
فاما المومور التي اختلف العلماء في تحريمها واباحتها فليست من المنكر الذي يجب
تغييره وانكاره وان اللازم لكل مجتهد ان يتبع ما ادي اليه اجتهاده ولا ينكر على
من خالفه فيه واما غير المجتهد فعليه ان يقلد من سكنت اليه نفسه من المجتهدين
والمحققون على انه يجوز لغير المجتهد الترخص برخص المذاهب والاتفاق على
جواز التقليد لغرض صحيح بل قالوا باستحبابه في مواضع من جملتها اذا كان
فيهم اكرام من يستحق الاكرام كما في واقعة السوال فظهر بما حررناه ان من
هتك حرمة مجلس اولئك الاعيان واسرف في انكار ما اباحه جمع كثير من
علماء السلف والخلف فهو الذى ارتكب المنكر اذ تصدى لما لم يحط به خبرا
فوبخ وزجر وجزر في غير مفصل كيف ومن شرط العالم الذي يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر ان يكون عارفا بمواضع الخلاف والاجماع حتى لا ينكر ما رخص
فيه بعض العلماء ويقطع بما لا قاطع فيه فيدخل تحت انكار قوله تعالى
اتقولون على الله ما لا تعلمون وان يستعمل الرفق واللين كما بيناه في شرحنا
على الدر المختار لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى امر تعالى
باستعمال اللين مع فرعون اطغى الطغاة في ارتكابه المنكرات وهو دعوى

الربوبية

آخر الفتيا

الربوبية فمن استعمل الغلظة والفظاظة في انكار امر مختلف فيه فقد خرج عن
مقتضى الشرع من كل وجه وفاته الادب الالهي من كل وجه والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل اهـ المراد منه اقول معتمدا بحمده معتصما به
متوكلا عليه ما زعمه هذا المفتي من ان جماعة من علماء المالكية ذهبوا
الي اباحة سماع الاوتار تقول عليهم باطل فقد ذكر الامام ابو العباس احمد
القرطبي ان القول بالاباحة لا يعرف الا ابراهيم بن سعد والعنبري ونص
المراد من رسالته كشف القناع في احكام السماع اعلم ان ما يقال عليه
غناء على ضربين احدهما ضرب جرت به عادة الناس باستعماله عند
محاولتهم اعمالهم وحملهم اثقالهم وقطع مفاوز اسفارهم يسلون بذلك
نفوسهم وينشطونها به على مشقات اعمالهم وليتعينون بذلك على
مشاق اشغالهم كحداء العرب بابلهم وغناء النساء لتسكيت صغارهن
ولعب الجوار بلعبهن يوم العيد وما شاكل ذلك فهذا النحو اذا سلم
المغني به عن ذكر الفواحش والمحرمات كوصف الخمر والقينات فلا شك
في جوازه وربما يندب اليه اذا حصل منه ما ينشط على اعمال البر ويرغب
في تحصيل الخير كالحداء في الحج والغزو الي ان قال والضرب الثاني يستعمله
المغنيون العارفون بصنعة الغناء المختارون لما رق من غزل الشعر الملحنون
له بالتلحينات الانيقة المقطعون له عن النغمات التي تهيج النفوس وتطربها
كلحمات الاوس فهذا هو الغنا المختلف فيه على اقوال ثلاثة احدها
انه محرم وهو مذهب مالك قال ابو اسحاق الطباع سالت مالكا عما
يترخص فيه اهل المدينة من الغناء فقال انما يفعله عندنا الفساق وقال
اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب ساير
اهل المدينة في الغناء الا ابراهيم بن سعد وحده فانه كان لا يرى بالغنا باسا
والي تحريم ذلك ذهب ابو حنيفة وسائر اهل الكوفة وابراهيم النخعي والشعبي
وحماد وسفيان الثوري وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك وقال الحارث
المحاسبي الغناء حرام كالميتة الي ان قال القول الثالث الاباحة وهو المروي
عن ابراهيم بن سعد والعنبري وهما شاذان ولا يلتفت اليهما لقوله صلى
الله عليه وسلم عليكم بالسواد الاعظم ومن شذ شذ الي النار ولقوله
صلى الله عليه وسلم ان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين ابعد ولان
العنبري مبتدع في اعتقاده وهو غير مرضي في علمه وابراهيم بن سعد ليس

من اهل الفتيا وقد حكى ابو طالب المكي الاباحة عن جماعة من الصحابة عبد الله
ابن جعفر وابن الزبير والمغيرة ومعاوية وغيرهم وقد فعل ذلك كثير من
السلف صحابي وتابعي وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع
في افضل ايام السنة وهي الايام المعدودات قال المعلى رحمه الله تعالى
وهذا ان صح فانه محمول على سماع النوع الاول لا الثاني وقد حكاه بعض الشافعية
والقشيري عن مالك ولا يصح عنه بوجه ولا عن احد من اصحابه ثم قال
بعد نحو عشرين ورقة المسالة الرابعة في سماع الات اللهو اما المزامير
والاوتار والكوبة وهو طبل طويل ضيق الوسط ذو راسين يضرب به
المخانيث فلا يختلف في تحريم سماعه ولم اسمع عن احد ممن يعتبر قوله عن
السلف وايمة الخلف ان يبيح ذلك وكيف لا يحرم سماع ذلك وهو سماع اهل
الخمور والفسوق ومهيج للشهوات والفساد والمجون وما كان كذلك لم
يشك في تحريمه ولا في تفسيق فاعله وتاثيمه اهـ وقد بسط الادلة ورد
ادلة الخصم واشبع القول في ذلك فليراجعها من احب وقال ابن الحاج في
المدخل مانصه ان السماع المعروف عند الضرب هو رفع الصوت بالشعر
ليس الا فاذا فعل احدهم ذلك قالوا عمل السماع وهو اليوم على ما يعهد
ويعلم ولاجل هذا المعنى الامام رزين رحمه الله تعالى ما اتى على بعض المتاخرين
الا لو ضوعهم الاسماء على غير مسمياتها وهو ذا بين الا ترى ان السماع كان على
ما تقدم ذكره وهو اليوم على ما نعاينه وهما ضدان لا يجتمعان ثم انهم لم
يكتفوا بما ارتكبوه حتى وقفوا في السلف الماضيين رضي الله عنهم ونسبوا
اليهم اللعب واللهو في كونهم يعتقدون الذي يعتقدونه ومعاذ الله ان يظن
هذا بهم ومن وقع منه ذلك فيتعين عليه ان يتوب ويرجع الى الله تعالى
والا فهو هالك ثم قال وقال الشيخ ابو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى في
تفسيره حين تكلم على قصة السامري في سورة طه مثل الامام ابو بكر الطرطوشي
رحمه الله ما يقول سيدي الفقيه في مذهب الصوفية واعلم حرس الله
مدتك انه يجتمع جماعة من رجال فيكثرون ذكر الله وذكر محمد صلى الله عليه
وسلم ثم انهم يوقعون بالقضيب على شيء من الاديم ويقوم بعضهم ويتواجد
حتى يقع مغشيا عليه ويحضرون شيا من الطعام ياكلونه هل الحضور معهم جائز
ام لا افتونا يرحمكم الله وهذا القول يذكرونه يا شيخ كف عن الذنوب قبل
التفرق والزلل واعمل لنفسك صالحا ما دام ينفعك العمل اما الشباب

فقد

فقد مضى ومشيب راسك قد نزل وفي مثل هذا وجوه الجواب يرحمك
الله مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله
وسنة رسوله واما الرقص والتواجد فاول من احدثه اصحاب السامري
لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار فقاموا يرقصون حواليه ويتواجدون
فهو دين الكفار وعباد العجل واما القضيب فاول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا
به المسلمين عن كتاب الله تعالى وانما كان مجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه
كانما على رؤسهم الطير من الوقار فينبغي للسلطان او نائبه ونوابه ان يمنعهم من
الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يومن بالله واليوم الاخر ان يحضر
معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك وابي حنيفة والشافعي واحمد
وغيرهم من ايمة الدين وقال ايضا في كتابه المسمى بكتاب النهي عن الاغاني وقد
كان الناس فيما مضى يستتر احدهم بالمعصية اذا واقعها ثم يستغفر الله ويتوب
اليه منها ثم عم كثير الجهل وقل العلم وتناقض الامر حتى صار احدهم ياتي المعصية
جهارا ثم ازداد الامر ادبارا حتى بلغنا ان طائفة من اخواننا وفقنا الله واياهم
استزلهم الشيطان واستغوى عقولهم في حب الاغاني واللهو وسماع الطقطقة
فاعتقدته من الدين الذي يقربهم الى الله تعالى وجاهرت به جماعة المسلمين
وشاقت به سبيل المؤمنين وخالفت العلماء والفقهاء وحملة الدين ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى
ونصله جهنم وساءت مصيرا وقد سئل مالك رحمه الله تعالى عما يترخص
فيه اهل المدينة من الغناء فقال انما يفعله عندنا الفساق ونهي عن الغناء واستماعه
واما ابو حنيفة فانه يكره الغناء ويجعله من الذنوب وذلك مذهب اهل
الكوفة سفيان وحماد وابراهيم والشعبي لا اختلاف بينهم في ذلك الى ان قال
وكان الشافعي رضي الله تعالى عنه يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة
ليشغلوا به عن القران واما العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام ومستمعه
فاسق ثم قال فصل فان قيل اليس قد روي عن جماعة من الصالحين انهم
سمعوه قلنا ما بلغنا ان احدا من السلف الصالح فعله وهذه مصنفات
ايمة الدين واعلام المسلمين مثل مصنف مالك بن انس وصحيح البخاري ومسلم
وسنن ابي داود وكتاب النسائي رضي الله عنهم الى غيرها خالية من دعواكم
وهذه تصانيف فقهاء المسلمين الذين تدور عليهم الفتيا قديما وحديثا
في مشرق البلاد وغربها فقد صنف المسلمون على مذهب مالك تصانيف لا تحصى

وكذلك مصنفات علماء المسلمين على مذهب الامام ابي حنيفة والشافعي واحمد
ابن حنبل وغيرهم من فقهاء المسلمين كلها مشحونة بالذم عن الغناء وتفسق
اهله فان كان فعله احد من المتاخرين فقد اخطاء ولا يلزم الاقتداء بقوله
وترك الاقتداء بالايمة الراشدين ومن هنا ذل من لا بصيرة له نحتج عليهم
بالصحابة والتابعين وعلماء المسلمين ويحتج علينا بالمتاخرين سيما وكل من يري هذا
الراي الفاسد خلو من الفقه عاطل من العلم لا يعرف ما خذ الاحكام ولا
يفصل الحلال من الحرام ولا يدرس العلم ولا يصحب اهله ولا يقرا مصنفاته
ولا دواوينه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما استرذل الله عبدا الا حظر عليه
العلم فمن هجر اهل العلم والحكمة وانقضى عمره في مخالطة اهل اللهو والبطالة
كيف يومن على هذه المسالة وغيرها وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله فيا من
رضي لدينه ودنياه وشوشق لاخرته ومثواه باختيار مالك بن انس ان كنت
على مذهبه او باختيار ابي حنيفة والشافعي واحمد ان كنت على مذهبهم كيف
هجرت اختيارهم في هذه المسالة وجعلت امامك فيها شهواتك وبلوغ اوطارك
ولذاتك وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون اه المراد منه وهو في هذا المعنى
بحر لا تنقضي عجائبه وفيما نقلناه كفاية ومن اراد الزيادة فليرجع اليه ولا يخفى
ان الانكار انما هو على الصوفية الكاذبين اعني اهل زماننا واما اهل الرسوخ
والتمكين فمعاذ الله ان ينكر عليهم احد فانهم صفوة الامة وخيار المسلمين
واكثر العلماء منهم وقد بين مذهبهما اتم البيان في هذا الكتاب وذكر كلاما
ما رايت احسن منه فراجعه ان شيت ولنراجع لكلام المفتي فنقول قوله حكى الامام
ابن عرفة في مختصره عن ابن حبيب اباحة سماع المزهر وهو العود كما في القاموس
من عجائب الغرائب فان نسبة هذا الفرع لابن حبيب في اكثر الكتب المتداولة ومعناه
ما ذكره الفقهاء ففي نقل الحطابي عن الابي ما نصه تنبيه المعروف في اللغة ان المزهر
العود ولم ار من اهل اللغة من ذكر خلافه وكتب الفقهاء مخالفة لذلك فانهم
انما يعنون به الدف المربع المغلوق وصرح به يحيى بن مزين المالكي انتهى ونقله عنه
الاجهوري ونقل عن الجزولي انه فسره بالمربع المغشى من الجهتين انتهى وهو بمعناه
فيا عجبا لمن يدعي العلم والتحصيل كيف يستدل على احكام الشريعة بما في القاموس
ويترك كتب الفقه الموضوعة لذلك وقوله بل نقل حضور مجلس العيدان الى اخره
ما نقل عن المختصر اعجب من ذلك واغرب وما الحامل على ذلك الا عدم الحيا
والخوف من الله عز وجل وقد اشتهر النقل عن الامام ان الغناء انما يفعله بالمدينة


الفساق



ه

الفساق ونص على كراهته في المدونة ورد شهادة فاعله حسبما نقل ذلك عنه
كبراء اصحابه وفي الحطاب ما نصه عند قول المصنف في مبطلات الشهادة
وسماع غناء قال في التوضيح الغناء ان كان بغير آلة فهو مكروه ولا يقدح
في الشهادة بالمرة الواحدة بل لا بد من تكرره وكذا نص عليه ابن عبد الحكم لانه
حينئذ يكون قادحا في المرة وفي المدونة ترد شهادة المغني والمغنية والنائح
والنائحة اذ عرف بذلك واما الغناء بالة فان كانت ذات اوتار كالعود والطنبور فممنوع وكذا المزمار والظاهر عند بعض
العلماء ان ذلك يلحق بالمحرمات وان كان محمدا اطلق في سماع العود انه مكروه
وقد يريد بذلك التحريم ونص محمد ابن عبد الحكم على ان سماع العود ترد به
الشهادة قال الا ان يكون ذلك في عرس او صنيع وليس معه شراب مسكر
كانه لا يمنع من قبول الشهادة قال وان كان مكروها على كل حال وقد يريد
بالكراهة التحريم كما قدمناه اه ونقله ابن عرفة ايضا قلت لا يخفى عليك
ان التحريم في كلام المازري معناه الكبيرة بدليل ذكره المنع اولا فالاحتمالان
الملوح بهما في كلام ابن عبد الحكم هما كونه صغيرة او كبيرة لا التحريم وكراهة التنزيه
لان ذلك لا يصح مع قوله على كل حال اذ الظاهر منه كان هناك مسكر او لا
ومع وجود المسكر لا يصح كراهة التنزيه اصلا علم ما هو المعلوم من نصوص
المذهب وقواعده ومثل هذا التعبير كثير في كلام اهل المذهب كما لا يخفى على
المطلع على كلامهم العارف باصطلاحهم فيفهمه من كان ذا فهم وما علينا
اذا لم تفهم البقر وقد نقل الاجهوري في شرحه هذه الحكاية وقال عقبها بين
الخطيب وبين ابراهيم مفاوز تحتاج الى معرفة رجالها هذا مع ما في الحكاية
من السماجة ومن علم حال الامام وجلالته قطع بعدم صحتها وقد قال
رضي الله عنه ما جالست سفيها قط والعجب من ابن عرفة كيف راج عليه ذلك
ولا حول ولا قوة الا بالله قلت ولما ذكر ابن غازي في تكميل التقييد كلام ابن
عرفة المتقدم واختصر منه بعض شيء قال طويت بقية الحكاية لسماجتها ومنافاتها
لحال الامام مالك وكان من حق ابن عرفة ان لا يذكر ذلك على ابراهيم هذا
واباه لم يخلو من الكلام فيهما فقد قال ابو جعفر العقيلي ابراهيم بن سعد بن
الزاهدي قال احمد بن حنبل ذكر عندي يحيى بن سعيد فكانه ضعفه واثنى عليه
احمد وروى مرة عن [illegible] وكيع عنه ثم تركه اه كلام الاجهوري قلت فحيث
كانت هذه الحكاية مردودة مقطوعا بعدم صحتها معترضا على ناقلها
فما وجه نقلها مسئلة والاحتجاج بها ومعلوم ان عدالة الخطيب لا تقتضي

بصحة كل ما في تاريخه اذ من المعلوم حتى للعلوم ان كتب التاريخ لم توضع على
شرط الصحة بل تجمع الصحيح وغيره وعدالة ابراهيم بعد تسليمها لا تقتضي بصحة
ما يقول فيه اخبرني مخبر حسبما هو موجود في الجواب هذا المفتي بخطه فان
هذا لا يقبل اجماعا كما في كتب الاصول وبعد هذا كله فان كان الغنا والضرب
بالعود صح عن ابراهيم فليس بعدل ولا مقبول الشهادة عند نا حسبما نص على
ذلك في المدونة امامنا فلا تقبل شهادته عليه وتعديل غيره لا يلزمه وان لم
يثبت ذلك عنه سقط الاحتجاج وارتفع النزاع وكفى الله المومنين القتال ثم
بعد ارخاه العنان وتسليم هذا الهذيان فما مراد المفتي بالغناء الذي فعله
مالك والحيلة فان كان المراد غناء العرب فهذا خروج عن الموضوع وان
كان المراد غناء اهل الصناعة اعني غناء المخانيث والعشاق وشربة الخمور
والفساق فخيبة الله على من ظن هذا الظن بالامام ما اخسف عقله وما اقل
حياؤه ولعنة الله على من الحق نقصا على احد ائمة الدين وعلمائه المسلمين
وقول المفتي وهذا التعديل عن ابن عرفة مشعر بميله الاباحة ادل دليل على
فساد التصور وعدم التحصيل لما عرفت من ان النقل غير مقبول من جهات
متعددة وكون الامام ابن عرفة يترك جميع نصوص المذهب المدونة وغيرها
ويميل لما لم يقله احد بشيء يستحي العاقل ان يتفوه بمثله ووجه الاشعار
لم افهمه فان كان مجرد عدالة من ذكر فالامام واصحابه ايضا عدول وسل
عنهم الناس وان كنت ترى الامام وجميع اهل مذهبه ليسوا عدولا فلا ان صح
ادري ما اقول لك لا كل من نطق له جواب جواب ما يقبح السكوت هذا
ومختصر ابن عرفة ليس موجودا في يدي ولا اعلم له وجودا في بلدي فان كان
عندك فاطلب المسالة فيه من مظنتها فان نص على الاباحة فانسبها اليه
تصريحا لا اشعارا وان وافق اهل المذهب على التحريم فلا تتقول عليه وان
لم يكن عندك فاسكت فانه لا محين لهذا التجاري والظن السوء بمثل
هذا الامام واعلم ان النصوص في هذا المعنى كثيرة منها ما تقدم ومنها
ما في تبصرة ابن فرحون عند الكلام على موانع قبول الشهادة ونصه ومنها
سماع القينات عند ابن القاسم واشهب وقال ابن عبد الحكم من سمع صوت
العيدان وحضرها لم تجز شهادته وان لم يكن معها نبيذا لان يحضرها
في عرس او صنيع فلا ابلغ رد الشهادة ان لم يكن معها نبيذا وان كان
مكروها على كل حال اه وقد تقدم هذا في نقل الحطابي عن المازري ومن

النصوص

٦

النصوص ما في شرح الاجهوري الثانية من المسائل قال عياض في الاكمال صفة
الغناء الذي يباح من غير خلاف ما كان ليس فيه تشبيب ولا رفث انما هو
اشعار العرب والمفاخرة بالشجاعة والغلبة لان هذا لا يهيج شرا ولا انشاده
من الغنا المختلف فيه وانما هو رفع الصوت بالانشاد ثم ذكر صفة الممنوع
فقال هو ما جرت به عادة المغنيات من التشويق واللهو والتعريض بالفواحش
والتشبيب باهل الجمال بما يحرك النفوس ويبعث الهوي كما قيل الغناء رقية
الزنا او يكون فيه تمطيط وتكسير وعمل يحرك الساكن ويبعث الكامن او اتخذه
صناعة وكسبا والترنم على عادة العرب من الغناء المختلف فيه وقد استجازت
الصحابة رضي الله عنهم غناء العرب المسمى بالنصب وهو انشاد بصوت رقيق
فيه بعض تمطيط واجازوا الحداء وفعلوه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وفي
هذا كله اباحة مثل هذا وما خف منه ولم يكن لصاحبه عادة وهذا ومثله
لا يخرج به الشاهد ولا يقدح في العادة وكل هذا اذا كان الغناء بغير الة
والا حرم اه وعلى هذا فقول المص في التوضيح الغناء بالة حرام وبغيرها مكروه
وفي هذا كفاية ومن احب الاكثار فليراجع كتب المذهب وقوله قال ابو بكر ابن
العربي الخ هو من جملة ما في رسالة ابن ابي المواهب فاللائق نسبته لها
ولا يخفى على من له ادنى فهم انه مع ضعفه ليس فيه ما يدل على الاباحة
فان غايته ان لم يبلغ به التحريم بعد ان جعله من جملة مزمار ابليس وهل
يكون مزمار ابليس مباحا والذي كان بحضرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع اعراضه بوجهه الكريم انما هو غناء خفيف من صغار في يوم عيد
والالة الدف لا عود باوتار هذا وحيث اعترف المفتي بفضل ابي المواهب
فليقبل منه ما يقول فمن جملة ما في رسالته لما تكلم على العود وقد اختلف
العلماء فيه وفيما جرى مجراه من الالات المعروفة ذوات الاوتار فالمشهور
من المذاهب الاربعة ان الضرب به وسماعه حرام الى ان قال ونقل عن
مالك سماعه وليس بالمعروف عند اصحابه اه على ان رسالة ابن المواهب ابي
هذه وقعت لابي حجر الهيثمي فردها حرفا حرفا ولم يقبل منها عدلا ولا
صرفا وكتب في ذلك تاليفا كبيرا من جملة ما فيه القسم الثالث عشر الاوتار
والمعازف كالطنبور والعود والرباب والكمنجه والنطير وغير ذلك ٣
من الالات المشهورة عند اهل اللهو والسفاهة والفسوق وهذه كلها
محرمة بلا خلاف فقد غلط او غلب عليه هواه حتى اصمه واعماه ومنعه

هداه وزل به عن سنن تقواه ومن حكى الاجماع على تحريم ذلك الامام
ابو العباس القرطبي وهو الثقة العدل فانه قال كما نقله عن ائمتنا واقروه
واما المزامير والاوتار والكوبة فلا يختلف في تحريم سماعها ولم اسمع عن
احد ممن يعتبر قوله من السلف وائمة الخلف انه يبيح ذلك وكيف لا يحرم
شعار اهل الخمور والفسوق ومهيج الشهوات والفساد والمجون وما كان
كذلك لم يشك احد في تحريمه وتفسيق فاعله وتاثيمه وممن نقل الاجماع
على ذلك ايضا ا مام اصحابنا المتاخرين ابو الفتح سليم بن ايوب الرازي
فانه قال في تقريبه بعد ان اورد حديثا في تحريم الكوبة وفيه ان الله يغفر
لكل مذنب الا صاحب عرطبة او كوبة والعرطبة العود ومع هذا فانه اجماع اه
ثم قال واما ما حكاه ابن طاهر من اجماع اهل المدينة فهي من كذبه وخرافاته
لكمار رجل كذاب يروي الاحاديث الموضوعة ويتكلم عليها بما يوهم العامة
صحتها لكمار في مبحث الغناء والرقص وايضا فهو مبتدع اباحي لا يحرم
قليلا ولا كثيرا ومن ثم قال بعضهم فيه انه رجس العقيدة نجسها ومن
هذا حاله لا يلتفت اليه ولا يعول عليه ومن ثم قال الاذرعي عقب حكايته
الباطلة الكاذبة عن اجماع اهل المدينة وعن الشيخ ابي اسحاق وهذا من ابن
طاهر مجازفة وانما فعل ذلك بالمدينة اهل المجازفة والباطلة وكل من
ترجمه لم يذكر شيا من ذلك فيما نعلم ومن المجازفة قول ابن طاهر ان ذلك
مشهور عنه ودعوى ابن طاهر ان ذلك اجماع من اهل المدينة من حيز
دعواه اجماع الصحابة والتابعين على اباحة الغناء واللهو يعمى ويصم
الى ان قال اذا تاملت ما تقرر علمت ان قول صاحب ذلك الكتاب وذهبت
طائفة الى جواز سماع وما جرى مجراه من الالة المعروفة ذوات الاوتار كذب
صريح وجهل قبيح لما مر من ان ذلك محرم بالاجماع وانه لم يقع خلاف الا في
العود وان ذلك الخلاف باطل لا يعتد به في حكاية الاجماع قوله ونقل
خلاف الاجماع سماعه عن فلان وفلان وذكر جماعة من الصحابة والتابعين
وغيرهم جوابه ان هذا كله نقل باطل واحتجاج بالتمويهات والتلبيسات وكيف
يسوغ لمدني فضلا عن من يدعي التصوف والمعرفة ان يحتج على تعاطي
الاشياء المحرمة عند ائمة المذاهب الاربعة وغيرهم بمجرد قوله ونقل ذلك
عن فلان وفلان ما ذاك الا غباوة ظاهرة وجهل مفرط لان اللائق
لمن يريد ان يفعل شيا يخالف فيه المشهور المقرر في مذاهب العلماء

ان

ان يحتج عليهم بنقل صريح او حديث صحيح لانه اما ان يكون مجتهدا او مقلدا فان
كان مجتهدا بين اولا ان المسالة غير مجمع عليها واثبت النقل بطريقه المعتبر
عند اهل الحديث وغيرهم ممن يعتد بهم الاجماع في المسالة ثم بين حجته من كتاب
او سنة او غيرها بطريقه المعتبر عند ايمة الاصول وغيرهم وان كان مقلدا
بين صحة الحل عند احد من العلماء المجتهدين ثم قال انا مقلد لهذا الامام حتى
يرتفع الانكار عنه واما مجرد قوله نقل فهذا كلام لغو لا يفيده شيا الا في غرضه
الفاسد وهو ترويج افعاله واقواله الكاذبة الباطلة عن من لا يفرقون بين نقل
وصح ويعتقدون ان الكل من واد واحد وهيهات ليس الامر بالهوينا كما يظن
هذا الرجل واضرابه بل بينه وبين اثبات الحل عن واحد ممن ذكرنا مفاوز تقطع
دونها الاعناق اذ لو قام طول عمره يفحص ويفتش ما ظفر بنقل الحل من طريق
صحيح عن واحد من العلماء فضلا عن هولاء الكثير الذين عدهم بمجرد الدعاوي
الكاذبة وممن سبقه الى ذلك كابن حزم وابن طاهر وليته عرف حال هذين
الرجلين ليجتنب متابعتهما فان كلا منهما مبتدع ضال اما ابن حزم فالعلماء
لا يقيمون له وزنا كما نقله عنهما المحققون كالتاج السبكي وغيره لانه واصحابه
ظاهرية محضة تكاد عقولهم ان تكون مسخت ومن وصل الى ان يقول ان بال
الشخص في الماء تنجس او في اناء ثم صبه في الماء لم يتنجس كيف يقام له وزن
ويعد في العقلاء فضلا عن العلماء ولابن حزم هذا واضرابه من امثال
هذه الخرافات الشيء الذي لا ينحصر ومن تامل كذبه على العلماء سيما امام اهل
السنة ابو الحسن الاشعري علم ان الاولى به وبامثاله ان يكونوا في حيز الاهمال
وعدم رفع راس لشيء صدر منهم واما ابن طاهر فان العلماء بالغوا في
تضليله وتسفيهه بما مر بعضه وسياتي بعضه من ذلك انه رجس العقيدة
نجسها وانه رجل اباحي لا يتقيد بدليل ولا يعول على تعليل بل كلما وسوس
له به الشيطان اتخذه مذهبا وبرهن عليه بالاشياء التي يعتقد كذبها وانما
يموه على من لا علم عنده ليوهم صحة ذلك ثم قال وقول صاحب ذلك الكتاب
ان الحل نقل ايضا عن اكثر فقهاء المدينة هذا في غاية من الكذب والتدليس
لانه ان قلد ابن طاهر في النقل فابن طاهر انما عبر باجماع اهل المدينة لا بالاكثر
وان قلد العلماء في تكذيب ابن طاهر في النقل فاهل المدينة مبراون من
نسبة ذلك اليهم فترك هذا الرجل هاتين المقالتين واختراعه النقل
عن اكثر فقهاء المدينة غاية في سوء الصنع المبنى على التدليس وحال هذا

الرجل يابي صدور مثل ذلك عنه لكن الهوي يوجب اكثر من ذلك وقوله ونقل
عن مالك سماعه وليس بالمعروف عند اصحابه كان لم يطالع تفسير القرطبي في
سورة الروم ولا المسالك لابن فضل الله في مبحث المغنيين الماخوذ عنه
وذلك المحكى بانه اشتباه فان شخصا اسمه مالك في زمن الامام كان
مغنيا وبفرض صحة ذلك وهو بعيد جدا فالعبرة باجراء احوال الائمة واقوالهم
والحاصل انه لا حجة له في هذا النقل عن مالك مطلقا فكان اللايق صون
امامه عن هذا الذي اشار اليه ونقله عنه ابن العربي في شرح الترمذي
ما يوهم الحل وليس كذلك كما هو ظاهر بادنى تامل وما مثال هذا الامام
في امثال العوام الغريق يتعلق بالقش وقوله حكى اباحته الماوردي من بعض
الشافعية هذا من غاية التدليس والبهت فان الماوردي عقب هذه الحكاية
بتزييف هذا القول وابطاله وكان هذا الرجل ظن ان احدا لا يتعقب كلامه
ولا يرد عليه وليس كذلك فقد لخبر الصادق المصدوق انه لا تزال طائفة
من امته ظاهرين على الحق الي يوم القيامة اي قرب لا يضرهم من خالفهم وبان
الله تعالى وعده بان كل زمن يوفق الله تعالى فيه عدولا يحملون العلم
وينفون عنه تحريف الغالين والحاد الملحدين وشبه المبطلين وقوله ونقل
عن الشيخ ابي اسحاق الشيرازي انه كان مذهبه وانه مشهور عنه وان لم ينقل
عن احد من العلماء انكره عليه ابن طاهر المقدسي جوابه ما سبق ان هذا
النقل عنه عن هذا العالم الرباني كذب صريح كيف والشيخ مصرح بتحريم
سماع العود وانه لا خلاف فيه في كتب الفقه ومن ثم بالغ العلماء في
تكذيب ابن طاهر في ذلك وان هذا من خرافاته وكذباته الشنيعة التي
تصدر عن المجازفة ورقة الديانة ومن مبالغته في كذبه قوله انه كان
مشهورا عن الشيخ وانه لم ينقل عن احد من العلماء انه انكره عليه ومن تدليس
هذا الرجل الناقل عن ابن طاهر انه نقل كذبه ولم ينقل تكذيب العلماء له في
هذا النقل ومبالغتهم في الرد عليه قوله وكان ابراهيم بن سعد من
علماء المدينة يقول باباحته ولا يحدث حديثا حتى يضرب جوابه
هذا من جملة الكذب ايضا على ابراهيم بن سعد وقد مر ان نقل اباحة
الغناء عنه شاذ على انه لو فرض صحة ذلك عنه لم يجز لاحد تقليده ::
للاجماع على انه لا يقلد الا مجتهدا وابراهيم هذا ليس من اهل الاجتهاد
كما مر عن القرطبي فهذا النقل غير مفيد ولو فرض صحته عنه فكيف

وهو

وهو لم يصح وتامل مجازفة هذا الرجل كيف اراد ان يعارض القرطبي بمجرد
زعمه فقال وابراهيم بن سعد احد شيوخ الشافعي وروى عنه البخاري
وهو امام مجتهد مشهور عدل بار لله مامون وهذا كله من الخرافة
والكذب والتدليس فانه كونه شيخا للشافعي وغيره لا يقتضي بل ولا يدل من
وجه قريب ولا بعيد انه مجتهد وكم اخذ الشافعي من غير مجتهد وروى
البخاري عن جاهل بمراتب الاجتهاد فضلا عن التحلي بها فذكرت ذلك غباوة
محضة وقوله وهو امام مجتهد هذا كذب عنه لانه اذا تعارض قول هذا
انه مجتهد وقول القرطبي انه غير مجتهد من الذي يعتمد قوله من الرجلين
فشتان ما بينهما لاسيما وهذا الرجل امر في هذا الكتاب بمتابعة خبيثين
مبتدعين كذابين ابن حزم وابن طاهر كل ذلك لترويج مقالته الفاسدة
وشبهته الكاسدة وتامل مجازفته ووقوعه في حق كل العلماء بحكايته عن
ابراهيم بن سعد انه لما ضرب بالعود بين يدي هارون الرشيد قال له ::
يا ابراهيم من قال بتحريمه هذا من علمائكم قال من ربطه الله يا امير المومنين
اهـ فهذه الحكاية لا تصدر عن ادنى السوقة في حق العلماء فكيف استباح هذا
الذي يزعم الدين والتصوف ان يحكي ذلك ويشهره للعوام ليس ذلك الا لان
المحنة القبيحة بسماع الاوتار اخرجته عن حيز الصيانة الي حيز الخيانة وعن ساحة
الادب الى ساحة العطب ولم لا وقد وقع في حق كل العلماء وباء بسبب ذلك ٣
الخسران والبوار والعمى وكيف يعد هذا مساغ لهذا الرجل ان يحتج على العلماء
بكلام مغني يضرب العود بين يدي ظالم سب العلماء كلهم لاجل ان يرتضيه
ويحسن له قبيحه وكيف يعقل ان يقبل منه وصف ابراهيم هذا بتلك الاوصاف
العلية مع هذه المرتبة الدنية اذ غايته انه مغن عواد لظالم وهذا كله بتقدير
صحة ذلك عن ابراهيم ولا فقد مر ان هذا الرجل انما يعتمد كذب مثل ابن
طاهر الخبيث والقبيح ويظنه حجة لان هواه اعماه واصمه حتى لم يفرق بين
الحسن والقبيح بل لا يالف الا القبيح لانه الموافق للهوى وقوله ونقل الامام الماوردي
عن ابن عبد الحكم انه مكروه جوابه ان مراده انه مكروه كراهة تحريم وقوله
وحكى عن الامام عز الدين بن عبد السلام انه مباح هذه الحكاية كذب صريح
كيف وهو مصرح في كتبه بخلافه اهـ المراد منه بحذف كثيرا رتكبناه خوف
السامة ولو ظفرت بعبارة هذا التاليف قبل المراجعة والتعب لاستغنيت
بها فانها وافية كافية وفيها محاسن كثيرة تركت نقلها خوف الملل ومن

اراد فليراجع ولنرجع لما نحن بصدده فنقول اذا علمت هذا ظهر لك ظهور
الشمس وقت الظهيرة ان القول باباحة الالات ذوات الاوتار لا وجود
له في المذهب اصلا وان نسبته اليه افتراء وتقول عليه وان القول بالكراهة
مراد قائله كراهة التحريم وعلى ارخاء العنان فهو ضعيف وان المذهب كله او مشهوره
التحريم وقد تقرر في هذا المذهب انه يحرم الافتاء بالقول الضعيف فلا يفتى
الا بالراجح او المشهور كما نص على ذلك ابن فرحون في تبصرته والبرزلي في
نوازله وغيرهما ونقلوا ذلك عن اعلام اهل المذهب وذكر الشيخ العدوي
انه لا يجوز القضاء ولا الافتاء ولا العمل بالقول الضعيف ومعلوم ان للضرورة
احكاما تخصها هذا ما وقع من هذا المفتي هو عندي ادل دليل على انه رقيق
الديانة عديم الامانة فاسد التصور قبيح التهور خال عن التحصيل بضاعته
مجرد القال والقيل فانه كان سبق له اشتغال في كتب المذهب وتلقى عن اهله
فما معنى هذا التساهل في النقل وترويج ما زيفوه والاعراض عما رجحوه وان
لم يسبق له اشتغال فما هذا التجاري على احكام دين الله والافتاء بغير علم
وقد صرحوا بحرمة الافتاء على من اشتغل بكتب تحتاج الى تقييد ان لا يعرفها
والامر اظهر من ان يحتاج الى استدلال عليه وفي التبصرة واعلم انه لا يجوز
للمفتي ان يتساهل في الفتوى ومن عرف بذلك لم يجز ان يستفتى والتساهل
بان يكون لا يتثبت ويسرع بالفتوى قبل استيفاء حقها من النظر والفكر
وربما يحمله على ذلك توهمه ان الاسراع براعة وذلك جهل فلان يبطىء
ولا يخطىء اجمل به من ان يعجل فيضل ويضل وقد يكون تساهله وانحلاله
بان تحمله الاغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحظورة او المكروهة والتمسك
بالشبه طلبا للترخيص على من يروم نفعه او التغليط على من يريد ضره
قال ابن الصلاح ومن فعل ذلك فقد عليه وفيه نسال الله العفو والعافية م
وقال العراقي لا ينبغي للمفتي اذا كان في المسالة قولان احدهما فيه تشديد
والاخر فيه تخفيف ان يفتي العامة بالتشديد والخاصة من ولاة الامور
بالتخفيف وذلك قريب من الفسوق والخيانة في الدين والتلاعب بالمسلمين
وذلك دليل فراغ القلب من تعظيم الله واجلاله وتقواه وعمارته باللعب
وحب الرياسة والتقرب الى الخلق دون الخالق نعوذ بالله من صفات
الغافلين اه ومن احب الاكثار فليراجعها او نحو فتاوى البرزلي وقوله
وغير خاف الخ قوله فنسبتها سبيل غيرها من المسائل الاجتهادية التى

لا يتجه

٩

لا يتجه فيها اساس واهي لما عرفت من ان التحريم مجمع عليه او قوي جدا والقول
بالاباحة لا وجود له في المذاهب الاربعة وان من نسبه لها كاذب والقول
بالكراهة مؤول وعلى تسليمه ضعيف لا يفتى به فاين الاختلاف وعلى التسليم
ليس كل خلاف حجة والمحرم يجب انكاره اتفاقا وفي وجوب انكار المكروه وندبه
قولان وعبارة اللقاني في شرح جوهرته وفي تذكرة الميلي وفي عموم التكليف بهما
في الواجبات والمحرمات والمندوبات والمكروهات وقصرهما على الاولين قولا
القاضي والامام وقال ابن بشير وفي كونه في المندوب ندبا او وجوبا قولان
وفي شرح المختصر واللفظ للشيخ عبد الباقي ما نصه ويشترط ايضا في المنكر
الذي يجب تغييره ان يكون مما اجمع على تحريمه او ضعف مدرك القائل بجوازه
كابي حنيفة في شرب النبيذ فعلينا نهي حنفي عن شربه واما ما اختلف فيه
فلا ينكر على مرتكبه ان كان يعتقد تحليله بتقليده القائل بالحل كصلاة مالكي
بمني في ثوبه مقلدا للشافعي بطهارته فانه علم انه يرتكبه مع اعتقاده الحرمة فهي
لانتهاكه الحرمة كما قال ابن عبد السلام قال الشيخ زروق في شرح الارشاد
وان لم يعتقد التحريم ولا التحليل والمدرك فيهما متواز ارشد للترك برفق
عن غير انكار ولا توبيخ لانه من باب الورع اه وقد علمت مما سبق ان القول
بالاباحة في هذه المسالة اذا سلم وجوده لا يصح تقليده وقد وقع الانكار
في هذه المسالة قديما مع الامام الطرطوشي والقرطبي المفسر وصاحب المدخل
والقرطبي الحافظ وامروا بذلك وحثوا عليه وذكر ابن حجر في رسالته انه
كسر بعض الالات مرارا ورفع من يتعاطى ذلك الى الحاكم القاضي تارة والامير
اخرى وادبوا وشهروا في الاسواق وقال البرزلي وفي احكام السوق اذا
دعي الى وليمة او ختان او صنيع وفيه الات لهو وشرب خمر فاما غير الوليمة م
فليس عليه ان يجيب وفي الوليمة جاء الحديث فيجيب معناه انه قد امر ان
يجيب فليجب ثم ان كان فيها مثل المزهر والمدور والكبر فقد سهل في
العرس ولا باس بالاجابة وان كان فيها مثل الطنبور والبوق وصوته
العود فلا يجيب وعلى من استرعاه الله رعيته ان ينهى عن كل ما وقع
فيه النهي من الالات الملاهي في العرس وغيره اه بل ذكر صاحب الشامل ان
ذا الهيئة نهي من المباح ونصه فان كان مباحا وهو من غير ذي الهيئات
فلوجوب بالاتفاق وكذا ان كان منهم على الاصح وينكر جهده وتبعه
الشناوي الان شارح الشامل قال لا وجه لانكار المباح انما الانكار في غيره

واستدل لما قال بكلام التوضيح وغيره فانظره ان شئت فانت ترى ان غير
المباح لاخلاف في انكاره وانما النزاع في اللعب المباح وكفى هؤلاء الايمة
فدعوى ان الانكار لايتجه كلام باطل لا التفات اليه وما اعجب حال
هذا المفتي يدعي الضرورة على حقيقة امر باطل لا يعرف له قائل واتباع
للهوى يوجب اكثر من ذلك وكانه اخذ ما قال من قول ابي المواهب في
رسالته ان المختلف فيه لايسوغ التعزير فيه لكنه بدل التعزير بقوله لا الانكار
لموافقة غرضه وقد رد ذلك ابن حجر بانه مخالف لما اتفق العلماء عليه
واشبع الكلام في ذلك فراجعه ان شئت وقد كان في نفسي ان ارد بمجرد
الاشارة والتنبيه مع الادب ثم رايت ان من لا يتادب مع الشرع لا يتادب
معه وكيف لاينكر والله تعالى يقول لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على
لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون على انه حيث كان الرجل المنكر من
علماء المالكية فالرد عليه بقوله لا انكار للمختلف فيه وان كان اراد بقوله
وغيرهم للمالكية فقد سمعت نصوصهم فليفهم من كان ذا فهم على ان
العبارة التى ذكرها انما فيها لا يجب واما انها لا يسوغ وان فاعله يلام
فيحتاج الى نص يفصح عنه والظن انك لا تجده ولو عمرت عمر نوح وقوله
وقوله ان المحققين على جواز الترخيص بترخص المذاهب اطلاق في محل التقييد
وهو خطأ صريح وخبط قبيح على انه قد علم من كلام ابن حجر المتقدم وغيره
انه لا رخصة في هذه المسألة وقوله ومن شروط العالم الخ كلام يلحق
قائله العار ويضحك عليه منه الصغار والكبار فان النصوص طافحة
بان الشرط انما هو علم الحكم في المسألة وان الامر بتغيير المنكر حكم
عام تخاطب به الامراء والعلماء والعوام ومعرفة مواقع الاجماع والخلاف
لا تتيسر لجميع الامة وقد ذكر الامام العدوي ان هذه المعرفة من اصعب
ما يكون وانها لا تتيسر الا لاهل الاجتهاد وهل قال احد ان تغيير المنكر
خاص بالمجتهدين وهل هذا المفتي منهم وكان هذا المفتي لم يرى لاحد
كلاما في هذه المسألة وقوله والاتفاق على جواز التقليد كان مراده اتباع
امام غير امامه ودعوى الاتفاق على هذا باطلة وكانه لم ير شيا من
كتب الاصول وقوله ان هذا الامر يستحب في مثله الارتكاب كلام
يوجب مقت الله ونعوذ بالله من التهور والتساهل ومعاذ الله ان

يكون

يكون من شرعنا ارضاء المخلوق بما يغضب الخالق وماذا تركناه من القبائح لعلماء
اليهود والنصارى ان قلنا مثل ذلك او فعلناه وما نقله من شرحه على
الدر المختار من ان شرط تغيير المنكر الرفق واللين مخالف للكتاب والسنة
والاجماع واستدلاله على ذلك بخطاب الله تعالى لموسى وهارون
ناشئ عن فساد التصور وعدم فهم مواقع الكلام فان ذلك فيما يتعلق
باللسان لا مطلقا وكان الواجب على هذا المفتي حيث التفت لما يتعلق بالكفار
ان يقرا قوله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم
جهنم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ولا
يخفى على من له ادنى معرفة بكتب الشريعة ان مراتب تغيير المنكر ثلاثة اعلاها
التغيير باليد كالذي في هذه النازلة فان في السؤال ان الرجل ازال المنكر بيده
واخرج اهله من المجلس وهذا لا يتاتى فيه اللين انما يطلب اللين في المرتبة الثانية
التى هي التغيير باللسان ان لم يقتض الحال خلافه وليس كذلك شرطا كما زعم
المفتي وقد ذكر فقهاؤنا في باب الوضوء ان البدء بمقدم الاعضاء مندوب
وان من خالف ان كان عالما وبخ وقبح عليه ونقل القرافي في فروقه عن بعضهم
ان يجوز للشخص ان يغير المنكر وان ادى ذلك الى تلف نفسه قد انكر على خصمه
بالغلظة دون الرفق واللين فما اشبهه على دعواه بمن يغسل العذرة بالبول
وقوله فمن استعمل الغلظة الخ قد فعل ذلك الامام ابن حجر وغيره
ونص عليه جمع كثير من ايمة الدين وعلماء المسلمين فدعوى الخروج عن الشرع
والمنابذة للادب هي الخروج والمنابذة واقوال العلماء ومذاهبهم احق
واحق بالاتباع وقد اكثرت من نصوصهم وذكرت من الصريح منها ما فيه
كفاية وازيدك فاقول في البرزلي ما نصه روى اصبغ عن ابي القاسم
من ادعى لصبغ فوجد فيه لعبا ان كان شيء خفيف من الدف والكبر والشيء
الذي يلعب به النساء فلا باس به وروى عن مالك في الدف والكبر لا باس
به اصبغ يعني في العرس خاصة للنساء وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال
اظهروا النكاح واضربوا عليه بالغربال يعني الدف المدور اصبغ ولا يعجبني
المزهر وهو الدف المركب واحب الي ان لا يكون مع الدف غيره وعليه مضى
السلف وان كان معه الكبر فلا باس ولا يجوز ان يكون معهما غيرهما
ولا يجوزان في غيره ولا يجوز الغناء على كل حال لا فيه ولا في غيره وكتب
عمر بن عبد العزيز بقطع اللهو كله الا الدف وحده في العرس والواجب

على الامام ان ينهى عن الغناء سره وعلانيته ويتقدم في ذلك ويعاقب عليه ويامر
بكسر ملاهي الملاعبين كالابواق والزمارات والاعواد والبرابط وجميع الاتهم
وشبهه من باطلهم ماعدا الدف والكبر والمزهر وفي الكبر ما فيه والدف اخف
من المزهر وينهى عن اللعب بهذه الثلاثة الا في عرس سرا وعلانية ومن
شهره في غير العرس وجب على الامام النهى عنه والضرب عليه وتقطيعه الا الجواري
العواقين في بيوتهن فهو يحقن مالم يكن معه غيره اه ببعض حذف اذا علمت ماتلوته
عليك ظهر لك ظهور الشمس في رابعة النهار ان هذا المفتي قد اخطأ في فتواه
خطأ فاحشا من وجوه متعددة وقد اساء كل الاساءة حيث نسب للمذاهب
ما هي بريئة منه وانكر ما نقله الايمة والخلفاء والعلماء وحسن ما قبحه الايمة
وقبح ما حسنوه وكان اللائق بحال هذا المفتي الاهمال فانه اقل من ان يرد عليه
وقد سبق مني الاعتذار واستغفر الله من كل ذنب وما ثم ما علمت من ذلك
وما لم اعلم واعوذ بالله من هفوة العلم وزلة القدم اللهم اني اسالك
رضاك والجنة واعوذ بك من سخطك والنار اللهم لا تمكر بنا عند الخاتمة
ولا تقطع عنا عوائد الانعام ومن علينا بسترك الجميل اللطيف وحسن
الختام والحمد لله لا احصي ثناء عليه والصلاة والسلام على سيدنا
محمد وكل منتسب اليه انتهى ما وجدته في هذه الرسالة التي هي منقوله
بخط المؤلف حفظه الله وادام نفع المسلمين به الي يوم القيامة امين بجاه طه
الامين تمت علي يد ناقلها العبد الفقير الفاني الراجي عفو ربه امين الزبداني
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين اجمعين وكان الفراغ منها في غرة
جماد اول سنة الف وثلاث ماية واحدى وعشرين وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

١

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه اجمعين فصل في عقد مجلس يتضمن مناظرة بين صاحب غناء وصاحب
قرآن ادلى كل واحد منهما بحجته ورضينا بتحكيم من آثر عقله ودنياه على هواه
وكان الحق الذي بعث الله به رسوله احب اليه مما سواه فجلس مجلس الحكم بين
الخصمين ونظر بعين النصيحة لنفسه في كل واحدة من الحجتين وعزل حمية الجاهلية
وعصيب الفرقة الباطلة وولي من ولاه الله ورسوله وعباده المومنون وما
كانوا اولياءه ان اولياءه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون وهذا اول المناظرة
قال صاحب الغناء قد امر الله رسوله ان يبشر من استمع القول واتبع احسنه
فقال تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين
هداهم الله واوليك هم اولو الالباب قال والالف واللام في القول يقتضي
العموم والاستغراق والدليل عليه انه مدحهم باتباع الاحسن من القول وهذا
يعم كل قول فيدخل فيه قول السماع وغيره قال صاحب القران قد كان ينبغي
لك ان توقر كلام الله وتجله ان تنزله على اقوال المغنيين والمغنيات واخواتهم
من النائحين والنائحات وان يحمل على رقية الزنا ومنبت النفاق وداعي الغي
والهوى فيكفي في فساد هذا القول انه لم يقله قبلك احد من ايمة التفسير على
اختلاف طبقاتهم ويدل على بطلانه وانه يمتنع ان يراد بكلام من لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وجوه عديدة احدها ان الله سبحانه
لا يامر بل لا ياذن في استماع كل قول حتى يقال اللام للاستغراق والعموم
بل القول ما يحرم استماعه ومنه ما يكره قال تعالى واذا رايت الذين يخوضون من
في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان
فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين فامر سبحانه بالاعراض عن سماع هذا
القول ونهى عن القعود مع قائليه وقال تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب
ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتى
يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم فجعل سبحانه وتعالى المستمع لهذا
الحديث مثل قايله فكيف يمدح سبحانه مستمع كل قول وقال تعالى قد
افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون
وقال تعالى في وصف عباده واذا مروا باللغو مروا كراما اي اكرموا
انفسهم عن استماعه وروى ان ابن مسعود رضي الله عنه سمع صوت لهو

فاعرض

١٢

فاعرض عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ابن مسعود لكريما فاذا كان
الله سبحانه قد اثنى على من اعرض عن اللغو ومر به كريما فاكرم نفسه
عن استماعه فكيف يجوز ان يقال ان الالف واللام للاستغراق وينسب الى
الله سبحانه انه مدح مستمع كل قول وقد قال تعالى ولا تقف ما ليس
لك به علم ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسولا فقد
اخبر سبحانه انه يسال العبد عن سمعه وبصره وفواده ونهاه ان يقفو
اي يتبع ما ليس له به علم واذا كان السمع والبصر والكلام والفواد منقسما
الى ما يومر به وينهى عنه والعبد مسول عن ذلك كله فكيف يجوز ان
يقال كل قول في العالم فالعبد ممدوح على استماعه ونظير هذا ان يقال كل
امري في العالم فالعبد ممدوح على النظر اليه لقوله قل انظروا ماذا في السموات
والارض وقوله او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق
الله من شيء وهذا دخل الشيطان عليكم وعلى كثير من النساك في هذين
المدخلين اذ توسعتم في النظر الى الصور المنهي عن النظر اليها وفي استماع
الاقوال والاصوات التي نهيتم عن استماعها ولم يكتف الشيطان بذلك منكم
حتى زين لكم ان جعلتم ما نهيتم عنه عبادة وقربة وطاعة وهذه هي
لطيفة ابليس فيكم التي تقدم ذكرها وهي قوله لي فيكم لطيفة السماع
وصحبة الاحداث الوجه الثاني ان المراد بالقول في هذه الاية التي
احتججتم بها القرآن كما جاء ذلك في قوله افلم يدبروا القول وقوله ولقد
وصلنا لهم القول فالقول الذي بشر مستمعيه ومتبعي احسنه هو القول
الذي وصله وحض على تدبره وكلام الله يفسر بعضه بعضا ويحمل بعضه
على بعض الوجه الثالث ان الالف واللام هنا لتعريف العهد وهذا
القول الذي دعي اليه المخاطب وامر بتدبره واخبر بتوصيله له وهو
كالكتاب والقران والالف واللام فيه كالالف واللام في الكتاب سواء
وكذلك الالف واللام في الرسول في قوله وقال الرسول يا رب ان قومي
اتخذوا هذا القرآن مهجورا وفي قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا وقوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول فهل يجوز ان يقال
ان اللام في الكتاب والرسول للاستغراق فتحمل على كل كتاب او على
كل رسول الوجه الرابع انها وان كانت للعموم في قوله الذين يستمعون
القول فهي انما تعم القول الذي انزله الله ومدحه واثنى عليه وامر

باتباعه واستماعه وتدبره وفهمه فهي تقتضي العموم والاستغراق في جميع
هذا القول فانها تقتضي عموم ما عرفته وقصد بمصحوبها الوجه الخامس
ان السياق كله من اول السورة الى هذه الاية انما هو في القرآن قال تعالى تنزيل
الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد
الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص فذكر في اول السورة كتابه ودينه
الكلم الطيب والعمل الصالح فخير الكلام كتابه وخير العمل اخلاص الدين
له ثم اعاد ذكر الاصلين في قوله والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها
وانابوا الى الله لهم البشرى فهذا اخلاص الدين له ثم قال فبشر عبادي
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فهذا كتابه فتضمنت الاية ذكر
كتابه ودينه كما تضمنه اول السورة فما لاقوال المغنين والمغنيات ههنا
ثم قال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله اولئك في ضلال مبين الله نزل احسن الحديث كتابا
متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله فاثنى على اهل السماع والوجد للقول والحديث الذي انزله ولم يثن
سبحانه على مطلق الحديث ومستمعيه بل تضمن السياق الثناء على اهل ذكره..
والاستماع لحديثه كما جمع بينهما في قوله الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل من الحق وفي قوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وهو سبحانه ذكر انه بين في القرآن
الامثال والحجج لنتذكر به ونتعظ ونتدبره ونتفهمه فامرنا باستماعه واتباعه
وحض على تدبره وبشر من استمعه واتبع احسنه واخبر انه وصله لنتذكر
به واخبر ان من لم يتدبره فقلبه من القلوب التي عليها اقفالها فما لاقوال
المغنين والمغنيات وهذا الشان ثم اعاد سبحانه ذكر القرآن في قوله والذي
جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون قال البخاري في صحيحه عن
مجاهد قال الذى جاء بالصدق القرآن وصدق به المومن يجئ يوم القيامة
يقول هذا الذي اعطيتني عملت بما فيه فذكر سبحانه الصدق والمصدق به
مثنيا عليه ثم ذكر ضدهما وهما الكاذب والمكذب بالحق وهما نوعان ملعونان
من القول اعني الكذب والتكذيب بالحق فكيف يكون من استمعهما ممدوحا
مستحقا للثناء ولا ريب ان البدع القولية والسماعية المخالفة لما بعث الله
به رسوله من الهدى ودين الحق يتضمن اصلين الكذب على الله والتكذيب بالحق

١٢

بل الانتصار لما خالف ذلك سواء كان سماعه وغيره يتضمن الاصلين
الباطلين الوجه السادس انه سبحانه قال بعد ذلك قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب ثم
لا تنصرون واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب
بغتة وانتم لا تشعرون فهذا الاحسن الذي امر باتباعه هنا هو الاحسن
الذى بشر من اتبعه في اول السورة وهو احسن المنزل في الموضعين ونظير هذا
قوله تعالى لموسى في التوراة فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها فهذا
كله اذا تدبره المومن الناصح لنفسه علم علما يقينيا ان الكتاب والقول والحديث
الذي امر الله باستماعه وتدبره وفهمه واتباع احسنه هو كلامه المجيد
الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وما مدح
الاستماع لكل قول فهذا لا يليق نسبته الى العقلاء فضلا عن رب الارض والسماء
يوضحه الوجه السابع وهو ان الله سبحانه في كتابه انما اثنى على المستمعين
للقرآن وحمد هذا السماع وذم المعرضين عنه وجعلهم اهل الكفر والجهل
الصم البكم الذين لا يعقلون قال تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا
لعلكم ترحمون وقال تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا
تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى في حق المنعم
عليهم اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا وقال تعالى واذا
سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق
وقال ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا وقال
في ذم المعرضين عن هذا السماع ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين
لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
وقال تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم
بكم عمي فهم لا يعقلون وقال والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها
صما وعميانا وهذا كثير في القرآن وكتاب الله يبين بعضه بعضا الوجه
الثامن ان المعروف في القرآن انما هو ذم استماع القول الذي هو الغناء كما
قال تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون
قال غير واحد من السلف هو الغناء يقال سمد لنا اي غنا لنا فذم المعرضين
عن سماع القرآن المتعوضين عنه بسماع الغناء كما هو حال السماعاتية المؤثرين

لسماع المكاء والتصدية على سماع القران المتعوضين عنه بسماع الغناء وهم نظير
الذين اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وقال غير واحد من السلف في
قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث انه الغناء **الوجه التاسع**
انكم معاشر السماعاتية المحتجين بهذه الاية لا تستحسنون استماع كل منظوم
ومنثور بل انتم من اعظم الناس كراهة لما لا تحبونه من الاقوال منثورها ومنظومها
واشدهم نفرة عن ذلك ونفوركم عن ما لا تحبونه وتهوونه من الاقوال اعظم
من نفور المنازع لكم عن سماع المكاء والتصدية فهلا ادخلتم الاقوال التي
تخالف اهواكم وما تحبونه في القول الذي اثنى الله على من استمعه واتبع احسنه
هذا مع انه قطعا احسن من اقوال المغنيين وانفع للقلب في الدنيا والاخرة ولكن
ذنب هذا القول مخالفته لهواكم وما ابتدعتموه فان كان العموم في الاية مرادا
فقد ابطلت حجتكم وان لم يكن مرادا فقد بطلت ايضا فتبين بطلان استدلالكم
على التقديرين وبالله التوفيق **الوجه العاشر** انه سبحانه وتعالى قال
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فمدحهم باستماع
القول واتباع احسنه ومن المعلوم ان كثيرا من القول بل اكثره ليس فيه حسن
فضلا عن ان يكون احسن بل غالب القول يكب قائله في النار على منخره والاقوال
التي ذمها الله في كتابه اكثر من ان تعد كالكلام الخبيث والقول الباطل والقول
عليه بما لا يعلم القايل والكذب والافتراء والغيبة والتنابز بالالقاب والتناجي
بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتبييت ما لا يرضى من القول وقول
العبد بلسانه ما ليس في قلبه وقوله ما لا يفعله وقول اللغو وقول ما لا
ينزل به سلطانا والقول المتضمن للشفاعة السيئة والقول المتضمن للمعاونة
على الاثم والعدوان وامثال ذلك من الاقوال المسخوطة المبغوضة للرب
تعالى التي كلها قبيحة لا حسن فيها ولا احسن فادعا العموم في الاية في غير
القول الذي انزله الله على رسوله من الكتاب والسنة من ابطل الباطل
الوجه الحادي عشره انه سبحانه وتعالى علق الهداية على اتباع احسن هذا
القول فقال فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك
الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب ومن المعلوم بالاضطرار
ان الهداية انما حصلت لمن اتبع القران فهو الذي هداه الله فاين الهدى
في اقوال المغنيين والمغنيات وبالجملة ففساد هذا القول الذي حملتم عليه
كتاب الله والصقتموه به وهو منه بريء وحملتموه اياه وليس خليقا بحمله

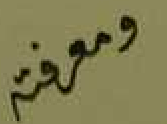
معلوم لكل من في قلبه حياة ونور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور **فصل**
قال صاحب السماع وقال الله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون
فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون جاء في التفسير انه
السماع ولو كان حراما لما كان من افضل نعيم الجنة **قال** صاحب القران
لو امسكتم عن استدلالكم لصحة ما ذهبتم اليه لكان استر لكم واروج عند من
قل نصيبه من البصيرة والعلم ولكن يابى الله الا ان يكشفه ويهتكه على السنتكم
ولا ريب انه قال بعض السلف ان الحبرة ههنا هي في السماع الحسن في الجنة وان
الحور العين يغنين باصوات لم يسمع الخلايق باحسن منها يقلن نحن الخالدات
فلا نموت ونحن الناعمات فلا نباس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى
لمن كان لنا وكنا له وذكر ابو نعيم في صفة الجنة من حديث سعيد بن ابي
مريم حدثنا محمد بن جعفر ابن ابي كثير عن زيد بن اسلم عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ازواج اهل الجنة ليغنين ازواجهن
باحسن اصوات سمعها احد قط ان مما يغنين نحن الخيرات الحسان ازواج
قوم كرام تنظرن بقرة اعيان وان مما يغنين نحن الخالدات فلا يمتنه نحن الامنات
فلا يخفنه نحن المقيمات فلا يظعنه تفرد به سعيد بن ابي مريم وروى من طريق
الوليد بن ابي ثور حدثني سعيد الطائي عن عبد الرحمن بن سابط عن ابي اوفى قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثا فيه انه يجتمع الحور العين في كل سبعة
ايام فيقلن باصوات حسان لم يسمع الخلايق بمثلها نحن الخالدات فلا نبيد ونحن
الناعمات فلا نباس ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن طوبى
لمن كان لنا وكنا له وروي من طريق ابن ابي فديك عن ابن ذيب عن عون بن الخطاب
عن انس لانس عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحور العين
يغنين في الجنة نحن الحور الحسان خلقنا لازواج كرام ومن طريق زيد بن واقد
عن رجل عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة
جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولولو فتهب لها ريح فتصطفق فما
يسمع السامعون بصوت شيء الذ منه ومن طريق خالد بن معدان عن امامة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند راسه
وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيان باحسن صوت سمعه الانس والجن
وليس بمزامير الشيطان وروى الترمذي حدثنا احمد بن منيع حدثنا ابو معوية
حدثنا عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان ابن سعد عن علي قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم ان في الجنة مجتمعا للحور العين يرفعن اصواتا لم يسمع الخلايق بمثلها قال
يقلن نحن الخالدات فلا نبيد و نحن الناعمات فلا نبوس و نحن الراضيات فلا نسخط
طوبي لمن كان لنا وكنا له حديث غريب وروى الطبراني من حديث سليمان بن
ابي بكر يمه وفيه كلام عن هشام بن حسان عن لحسن عن امه ام سلمة قالت يا رسول
الله نساء الدنيا افضل ام الحور العين قال بل نساء الدنيا افضل من الحور العين كفضل
الظهارة على البطانة قلت يا رسول الله وبم ذلك قال بصلاتهن وصيامهن ∴
وعبادتهن الله البس الله وجوههن النور واجسادهن الحرير بيض الالوان خضر
الثياب صفر الحلي مجامرهن الدر وامشاطهن الذهب يقلن نحن الخالدات فلا نموت
و نحن الناعمات فلا نبوس ابدا و نحن المقيمات فلا نظعن ابدا الا و نحن الرضيات
فلا نسخط ابدا طوبي لمن كنا له وكان لنا الحديث فيقال لكم هل يلزم من كون
الشيء ينعم الله به عباده في الاخرة ان يكون مباحا لهم في الدنيا فان قلتم لا يلزم ذلك
بطل استدلالكم وان قلتم يلزم قيل لكم فالله سبحانه ينعمهم في الاخرة بلباس
الحرير واساورة الذهب فجوزوا لهم لباس ذلك في الدنيا وخالفوا دينه وامره وايضا
فان الله عز وجل ينعمهم في الجنة بالخمر فجوزوا لهم شربها في الدنيا على طرد قولكم وايضا
فانهم في الجنة ياكلون ويشربون في صحاف الذهب والفضة وقد قال صلى الله عليه
وسلم هي لهم في الدنيا و لنا في الاخرة وطرد قولكم انها كما للمسلمين في الاخرة تكون
مباحة لهم في الدنيا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر في الدنيا لم
يشربها في الاخرة ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وقال في صحاف الذهب
والفضة هي لهم في الدنيا و لنا في الاخرة فانه اخبر من استعمل هذه الامور في
الدنيا من المطعوم والملبوس وغيرهما لم يستعملها في الاخرة فاما ان يستعملها اهل
الجنة ويحرمها هو وان دخلها كما روي ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابراهيم
ابن المنذر الخزامي حدثنا حسن يعني ابن علي بن حسن البراد عن حميد الخراط عن
محمد بن كعب قال من شربها في الدنيا لم يشربها في الاخرة قال قلت فانه تاب حتى
ادخله الله الجنة و الله تعالى يقول وفيها ما تشتهي الانفس ولكم فيها ما تدعون
قال ينسيهم الله ذكرها واما ان ذلك وعيد له بانه لا يدخل الجنة فان هذه الامور
يستعملها اهل الجنة فمن لم تحصل له في الاخرة لم يكن من اهل الجنة وهما تاويلان للسلف
في هذه الاحاديث فلو قيل ان هذا السماع اللذيذ الموعود به في الجنة انما هو
لمن نزه سمعه في الدنيا عن سماع الغناء والملاهي اعتبارا بنظيره من اللباس
وشرب الخمر واستعمال آنية الذهب والفضة لكان هذا اشبه بالصواب واصح

من استدلالكم على اباحته في الدنيا باستعمال اهل الجنة له وقد جاء الاثر بما قلنا صريحا
وهو ما روى ابو بكر بن ابي الدنيا حدثنا داود بن عمرو الضبي حدثنا عبد الله بن
المبارك عن مالك بن انس عن محمد بن المنكدر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة نادي مناد اين الذين كانوا ينزهون انفسهم
عن اللهو ومزامير الشيطان اسكنوهم في رياض المسك ثم يقول للملائكة اسمعوهم
حمدي وثنائي واعلموهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقد تقدم نقله عن مجاهد
من كلام بن بطه وايضا فانه قد جاء في الحديث ان الرجل من اهل الجنة يزوج باثنتين
وسبعين زوجة ذكره ابو نعيم في كتاب صفة الجنة من حديث خالد بن معدان
عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يدخل الجنة الا
و يزوج ثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين من اهل ميراثه من اهل
الدنيا ليس منهن امراة الا لها قبل شهي و له ذكر لا ينثني و ذكر من حديث الحجاج عن
قتادة عن انس يرفعه للمومن قوة في ثلاثين زوجة فقلنا يا رسول الله او له قوة
ذلك قال انه ليعطى قوة ماية وفي حديث آخر ان الرجل منهم ليصل في اليوم
الى مائة عزراء وهذه الاخبار لا تناقض بينها فان تفاضلهم في العدد على
حسب تفاضلهم في مقدار الثواب فعلى قياس قول المحتجين على اصل السمع في الدنيا
بانه يكون لاهل الجنة ينبغي ان تحلوا للرجل في الدنيا ان يتزوج بهذا العدد ∴

فصل قال صاحب الغناء سمع الاشعار بالالحان الطيبة والانغام المستلذة
اذا لم يعتقد المستمع محظورا ولم يسمع على مذموم في الشرع ولم ينجر في زمام هواه
ولم ينخرط في سلكه هو مباح في الجملة و لا خلاف ان الاشعار انشدت بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم وانه سمعها ولم ينكر عليهم في انشادها فاذا جاز سماعها
بغير الالحان الطيبة فلا يتغير الحكم بان تسمع بالالحان هذا ظاهر من الامر ثم ما يوجب
للمستمع توفير الرغبة في الطاعات ويذكر ما اعد الله لعباده المتقين من الدرجات
وتحمله على التحرز من الذلات وتودي الى قلبه في الحال صفاء الواردات مستحب
في الدين ومختار في الشرع وقد جرى على لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ما هو قريب
من الشعر وان لم يقصد ان يكون شعرا ففي الصحيحين من حديث انس بن مالك
قال كانت الانصار يحفرون الخندق فجعلوا يقولون نحن الذين بايعوا محمدا على
الجهاد ما بقينا ابدا فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا عيش الا
عيش الاخرة فاكرم الانصار والمهاجرة قال صاحب الغناء وليس هذا اللفظ
منه صلى الله عليه وسلم على وزن الشعر ولكنه قريب من الشعر قال صاحب

القرآن عجبا لكم معاشر السماعاتيه لم تقنعوا باعتقاد اباحة مالم ياذن الله بر ورسوله
من الغناء والات اللهو بل منع منه وحذر منه حتى جعلتموه طاعة وقربة وظننتم
ان حزب الله وجنده يغفلون عن رد قولكم الباطل وتبيين بطلانه وكسر شبهكم
الباطله ونصر الله ورسوله فنقول لكم كلامكم هذا قد تضمن شيئين احدهما
اباحة سمع الالحان والنغمات المستلذه بشرط ان لا يعتقد المستمع محظورا ولم يسمع
على مذموم في الشرع ولم يتبع فيه هواه والثاني ان ما اوجب للمستمع الرغبة في
الطاعات والاحراز من الذنوب وتذكر وعد الحق ووصول الاحوال الحسنة الى
قلبه فهو مستحب فعلى هاتين المقدمتين بنا من قال باستحبابه وربما اوجبه بعضكم
احيانا بنا على هاتين المقدمتين اذا ارادى انه لا يودى الواجب الا به وعليهما بنى
من فضله على سماع القران من عدة وجوه لانهم راوا انما يحصل بالقران وهاتان
المقدمتان كلاهما غلط مشتمل على كلام مجمل من جنس استدلالهم بما ظنوه من العموم
في قوله سبحانه وتعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وبما وعد الله في
الاخرة من السماع الحسن وولد بين هاتين المقدمتين اللتين لبس فيهما الحق بالباطل
اولاد سفاح لا انكاح وتولد منهما قول لم يذهب اليه احد من السلف الصالح البتة
وهو ان هذا السماع طاعة وقربة تقرب الى الله فانه وان نقل عن بعض اهل المدينة
وغيرهم ان يرخص في الغناء واستماعه فلم يقل انه طاعة وقربة ومستحب في الشرع
بل كان فاعله يراه مكروها وتركه افضل او يراه من الذنوب التي يتاب منها او يراه
مباحا كالتوسع في لذات المطاعم والمشارب والملابس والمساكن فاما رجاء الثواب
بفعله والتقرب الى الله به فهذا لا يحفظ عن احد من سلف الامة وايمتها بل
المحفوظ عنهم انهم قالوا انما يفعل هذا الفساق كما قاله مالك وان مالك من
احداث الزنادقة كما قاله الشافعي وانه من المحرمات كما قاله ابو حنيفة وانه
من الباطل والبدع كما قاله الامام احمد بل حفظ عنهم انه ينبت النفاق في القلب
كما ينبت الماء البقل صح ذلك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقال الشافعي
الغناء لهو مكروه شبيه بالباطل من استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ولو كان
قربة وطاعة لكان المستكثر منه من خيار الامة وقد حكم غير واحد من اهل العلم
على ان مدعي ذلك مخالف لاجماع المسلمين قال القاضي ابو الطيب الطبري وغيره
وهذه الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين لانهم جعلوا الغناء دينا وطاعة ورات
اعلانه في المساجد والجوامع وساير البقاع الشريفة والمشاهد الكريمة وليس
في الامة من راي هذا الراي فعبد الله بن مسعود لكمال علمه وفقهه في الدين





ومعرفته باحوال القلوب ومفسدات الاعمال اخبر ان الغناء مادة النفاق ينبته
كما القلب وينميه كما يفعل الماء في البقل وكذلك قوله الغناء رقية الزنا وقد
قال عكرمة في قوله تعالى فيما حكاه عن المنافقين في قلوبهم مرض قال عكرمة هو الزنا
وقال طاوس في ذلك في بعض امور النساء وقال زيد بن علي المرض مرضان
فمرض زنا ومرض نفاق والشافعي لوفور علمه ومعرفته ومحله الذي احله الله
به من الدين علم ان هذا مما يقيد القلوب عن القرآن ويعوضها به كما هو الواقع
فعلم ان هذا انما قصده زنديق منافق يقصد انقطاع القلوب عن الايمان
وصدها عن القرآن لتستعد لقبول ما يلقيه فيها الشيطان من البدع والشبهات
والشهوات قال امام الزنادقة ابن الراوندي اختلف الفقهاء في السمع فقال
بعضهم هو مباح وقال بعضهم هو محرم وعندي انه واجب ذكره ابو عبد الرحمن
السلمي عنه في مسالة السماع واعتضد به وكذلك شيخ الملاحدة وامامهم
ابن سينا في الاشارات امر بسمع الالحان وعشق الصور وجعل ذلك مما يزكي
النفوس ويهذبها ويصفيها وقبله معلمهم الثاني ابو نصر الفارابي امام اهل
الالحان فرضي الله عن الامام محمد بن ادريس الشافعي وجزاه عن نصيحته
للاسلام خيرا فكل هذا مما يشهد لقوله ان غناء التغبير من احداث الزنادقة ..

فصل اذا عرف هذا فنحن نذكر ما في هاتين المقدمتين اللتين لبس فيهما الحق
بالباطل واستولد من سفاحهما هذا الولد الذي هو شر الثلاثة ان هذا السمع طاعة
وقربة اما احتجاجكم بان النبي صلى الله عليه وسلم سمع ما انشد بين يديه من الشعر
ولم ينكره وانه قال ما يشبه الشعر فنقول في الشعر ما قاله الايمة انه كلام فحسنه
حسن وقبيحه قبيح وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان
من الشعر حكمه وكان ينصب لحسان منبرا ينشد عليه الشعر الذي يهجوا
به المشركين وقال اللهم ايده بروح القدس وقال ان روح القدس معك ما دمت
تنافح عن نبيه وقال عن عبد الله بن رواحه ان اخا لكم لا يقول الرفث وعبد
الله بن رواحه هو القايل

وفينا رسول الله يتلوا كتابه	كما انشق معروف من الفجر ساطع
ارانا الهدي بعد العمى فقلوبنا	به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه	اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

وقد استنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريد بن سويد
مائة قافية من شعر امية بن ابي الصلت وهو يقول هيه هيه وسمع قصيدة

كعب بن زهير وانشدته عايشة شعرا بي كثير الهذلي وقالت انت احق به
فاستنشدها اياه فانشدته

واذا نظرت الى اسرة وجهه … برقت كبرق العارض المتهلل

فقال جزاك الله خيرا يا عايشة وقد انشده غير واحد منهم حسان بن ثابت
وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه وكعب بن زهير والعباس بن مرداس
السلمي والنابغة الجعدي وانشده عمه العباس قصيدة مدحه بها فقال له يا عم
لا يفضض الله فاك وانشدته اخت النضر بن الحرث قصيدة ترثي بها اخاها
فرق لها وقال لو سمعتها قبل ذلك لم اقتله وانشده العلا بن الحضرمي ابياتا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر حكمه وقال لكعب بن مالك ما نسي
ربك بيت شعر قلته قال وما هو يا رسول الله قال انشده اياه يا ابا بكر
فانشد زعمت سخينة ان ستغلب ربها … وليغلبن مغالب الغلاب
ومر بجوار من بني النجار وهن يضربن بالدف ويقلن

نحن جوار من بني النجار … يا حبذا محمدا من جار

فقال اللهم بارك فيهن ولما قدم من تبوك خرج الولائد والصبيان يتلقينه
وجعلوا ينشدون

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع … وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

وانشده صلى الله عليه وسلم انس ابن زنيم الديلي يوم فتح مكة قصيدة يمدحه
بها فعفا عنه بعد ما اهدر دمه يقول فيها

تعلم رسول الله انك مدركي … وان وعيدا منك كالاخذ باليد

وانشده فروة بن نوفل ابن عمرو لما قدم عليه

بان الشباب فلم احفل به بدلا … واقبل الشيب والاسلام اقبالا
فالحمد لله الذي لم ياتني اجلي … حتى تسربلت للاسلام سربالا

وتمثل الصديق رضي الله عنه بالشعر وتمثلت به الصديقه ابنته وعمر بن الخطاب
وعثمان وعلي وبلال وابو الدرداء وعمرو بن العاص وقيل لابي الدرداء ما لك
لا تشعر فانه ليس رجل له بيت في الانصار الا وقد قال شعرا قال وانا
قلت ثم انشد

يريد المرء ان يعطى مناه … ويابى الله الا ما ارادا
يقول المرء فائدتي ومالي … وتقوى الله افضل ما استفادا

وقال ابو هريرة لما وفدت على النبي صلى الله عليه وسلم قلت في الطريق

يا ليلة من طولها وعنايها … على انها من دارة الكفر نجت

وكانت امراة سوداء من الصحابة وكانت مقيمة في المسجد كلما تحدثت قالت

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا … الا انه من بلدة الكفر نجاني

ولما نعي لمعوية عبد الله بن عامر هو والوليد بن عقبة انشد

اذا سار من خلف امري وامامه … وافرد من جيرانه فهو سائر

وانشد حبيب عند موته تلك الابيات المعروفة التي يقول فيها

ولست ابالي حين اقتل مسلما … على اي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشا … يبارك على اوصال شلو ممزع

وانشد ابو بكر عند قدومه المدينة

كل امري مصبح في رحله … والموت ادنى من شراك نعله

وانشد بلال كذلك وهو محموم

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة … بواد وحولي اذخر وجليل
وهل اوردن يوما مياه مجنة … وهل يبدون لي شامة وطفيل

وكان من الصحابة يتناشدون الاشعار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمر عمر بن الخطاب وجعل يلحظه فقال لقد انشدت فيه وفيه من هو خير منك
يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت عمر وهذا باب اوسع من ان نستقصيه
وقد كان الصحابة يرتجزون في الحرب وكان يحدى بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالشعر في الحل والحرم وكانوا ينشدون الشعر وهم محرمون وقد
اخبر الله سبحانه ان من الشعراء من يومن بالله ويعمل صالحا ويذكر الله كثيرا وهو
لا ينسى الله من الشعر فلم يذم هولا بل مدحهم على انتصارهم من بعد ما
ظلموا ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه
خير له من ان يمتلئ شعرا فذم الجوف الممتلي بالشعر الذي اشتغل به صاحبه
عما فيه سعادته من العلم والايمان والقران وذكر الله كثيرا فان الجوف اذا
امتلا بذلك لم يمتلئ من الشعر ولهذا قال الشافعي رحمه الشعر كلام فحسنه
كحسن الكلام وقبيحه كقبيحه وقال في التغبير انه من احداث الزنادقة يصدون
به الناس عن القران فبين رحمه الله ان اباحة احدهما لا يستلزم اباحة الاخر
فصل اذا عرف هذا فقولك ايها السماعي اذا جاز سماع الشعر بغير الالحان
جاز سماعه بالالحان الطيبة اذ لا يتغير الحكم بسماعه بالالحان فحجة فاسدة
جدا من وجوه وهي الى ان تكون حجة عليك اقرب من كونها حجة لك فان نفس

سمع الالحان مجردا عن كلام يحتاج الى اثبات اباحة منفردا وهل هذا المورد الذي
ينازعك فيه صاحب القران ومن المعلوم ان اكثر المسلمين على خلاف قولك فيه
كما تقدم حكايته عن الصحابة والتابعين والايمة الاربعة وغيرهم الوجه الثاني
انه لو كان كل واحد من الشعر والتلحين مباحا بمفرده لم يلزم من ذلك اباحتهما
عند اجتماعهما فان التركيب له خاصة بتغير الحكم بها وهذه الحجة بمنزلة حجة
من قال ان خبر الواحد اذا لم يفد العلم عند انفراده لم يفده مع انضمامه
الى غيره وهي ما يحكى عن اياس بن معاوية ان رجلا قال له ما تقول في الماء قال
حلال قال فالتمر قال حلال قال النبيذ ماء وتمر فكيف تحرمه فقال له اياس
ارايت لو ضربتك بكف من تراب اكنت اقتلك قال لا قال فان ضربتك بكف
من تبن اكنت اقتلك قال لا قال فان ضربتك بماء اكنت اقتلك قال لا قال فان
اخذت الماء والتبن والتراب فجعلته طينا وتركته حتى جف وضربتك به اكنت
اقتلك قال نعم قال كذلك النبيذ ومعنى كلامه ان المؤثر هو القوة الحاصلة
بالتركيب وكذلك المفسد للعقل هو القوة المسكرة الحاصلة بالتركيب وكذلك
ما نحن فيه الذي يسكر النفوس ويلهيها ويصدها عن ذكر الله وعن الصلاة
قوة تحصل بالتركيب والهيئة الاجتماعية وليست الاصوات المجتمعة في استفزازها
للنفوس بمنزلة صوت واحد وكذلك ليس الصوت الواحد الذي يودي به
الغناء على توقيع معين وضرب معين لا سيما مع مساعدة الات اللهو له
بمنزلة انشاد الشعر اذا تجرد عن ذلك وهل تروج مثل هذه الشبهة الا على
ضعيف العلم والمعرفة ناقص الحظ منهما جدا الوجه الثالث ان النبي صلى
الله عليه وسلم ندب الى تحسين الصوت بالقرآن وتزيينه به واستمعه هو
واصحابه فقال زينوا القرآن باصواتكم وقال ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي
حسن الصوت يتغنى بالقرآن وقال لابي موسى لقد مررت بك البارحة
وانت تقرا فجعلت استمع لقراتك فقال لو علمت من صاحب القينة الى قينته
ومع هذا فلا يسوغ ان يقرا القرآن بالحان الغناء ويقرن به من الالحان والآت
اللهو ما يقرن بالغناء حتى ولا عند من يقول باباحة ذلك في الشعر بل المسلمون
مجمعون على تحريمه وطرد دليلك جواز ذلك بل هو بعينه يقتضيه فانك
قلت اذا اجاز سماع الاشعار بغير الالحان الطيبة فلا يتغير الحكم بان يسمع
بالالحان هذا ظاهر من الامر هذا نص دليلك فهذا يمكنك طرده وتقول
اذا اجاز سماع القران بغير الالحان الطيبة جاز سماعه بها اذ لا يتغير الحكم

انك تسمع لحبرته لك تحبيرا وقال لله اشد اذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن صح

فان

فان قلت ذلك خالفت اجماع الامة وابطلت وان قلت لا يلزم من جواز استماعه
بدون الالحان الطيبة جواز اقترانه واستماعه بها ابطلت دليلك فقد تبين
بطلانه على التقديرين فصل واما المقدمة الثانية وهي قولك ان ما اوجب للمستمع
توفر الرغبة على الطاعات وتذكر ما اعد الله لعباده المتقين من الدرجات ويحمله
على التحرز من الزلات ويودي الى قلبه من صفاء الواردات فهو مستحب في الدين
ومختار في الشرع فنقول في تحقيق هذه المقدمة ان الله سبحانه وتعالى يحب الرغبة
فيما امر به والحذر مما نهى عنه ويحب اهل الايمان بوعده ووعيده ويحب القايمين
بمحابه من خشيته ورجائه والانابة اليه والتوكل عليه وساير ما يحبه ويرضاه
من عبده ظاهرا وباطنا ويحب السماع الذي يحصل محبوبه فان الوسايل الى المحبوب
محبوبة والوسايل الى المسخوط مسخوطة فهذه المقدمة التي ذكرتها ايها السماعاتي
مبناها على اصلين احدهما معرفة ما يحبه الله والثاني ان سماع الغناء يحصل
محبوب الله خالصا او راجحا فانه اذا حصل محبوبه ومكروهه والمكروه اغلب
كان مذموما وان كان محصلا لمحبوب ما وان تكافا المحبوب والمكروه فيه لم
يكن محبوبا ولا مكروها فاما الاصل الاول وهو معرفة ما يحبه الله ويرضاه
ويمدح فاعله ويثني عليه فهو المحك والفرقان واليه التحاكم في هذه المسلة وغيرها
وهو الفرق بين من اتخذ الهه هواه وبين من عبد الله بما يحبه ويرضاه فان
رضيت بالتحاكم الى هذا الاصل ولم تجد في نفسك حرجا مما يحكم الله به وتسلم
له تسليما حصل الوفاق وطرد الخلاف والشقاق وهذا الاصل له ميزان يوزن
به ومحك يحك عليه وكثير من الناس بل اكثرهم غلط فيه فظن في كثير مما
يحبه هو وطايفته وشيخه ومن يحسن ظنه به او ما يجده موافقا لذوقه ووجده
وحاله انه مما يحبه الله ورسوله ويقرب الى الله وتنال به كرامته في الدنيا ويوم
لقائه ولا اله الا الله كم زلت في هذا الموضع اقدام وضلت فيه افهام ونسب
الى محبة الرب تعالى اسخط شيء اليه واكرهه عنده ولزم من ذلك ان نسب
الى كراهته احب شيء اليه وارضاه له ولا سبيل الى معرفة ما يحبه ويرضاه الا
بوزنه بميزان الوحي ونقده على محك الامر وعرضه على حاكم الشرع وتلقيه من
مشكاة النبوة ثم اعتباره بدار الصرف فان كان نقشه سكته كل عمل ليس عليه
امرنا فهو رد فهو المحبوب المرضي لله الذي يقبله من عبده ويكرمه عليه وان
كان عليه ضرب السكك المحدثة الصادرة على الارادة والافكار والرسوم والاوضاع
فهو الزيف المردود فاذا وقع التحاكم الى هذا الاصل تقرب كل واحد من المتنازعين

من صاحبه والا رفيقك قيسي وانت يماني **فصل** واما الاصل الثاني وهو ان سمع
الغناء الذى فيه النزاع يحصل محبوب تعالى ومراضيه فالشان كل الشان في ذلك
فهاهنا اقتطع الشيطان من اقتطع واستزل من استزل واستخف من استخف
ويثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفى الاخرة ويضل الله
الظالمين ويفعل الله ما يشاء فيجب ان يعرف ان المرجع في القرب والطاعات
والديانات والفرق بين ما يحبه الله ويرضاه وبين ما يسخطه ويكرهه الى الله
ورسوله لا الى راي ولا قياس ولا ذوق ولا وجد ولا استحسان ولا تقليد ولا
منام ولا كشف ولا حدثني قلبي عن ربي ولا خوطبت ولا قيل لي ولا رايت فلانا
يفعل وهو ممن اعتقد فيه الخير او كان فلان يفعل وهو ممن يحسن به الظن
ونحو ذلك فليس لاحد ان يبتدع دينا لم ياذن به الله ويقول هذا يحبه الله
لانه يوصل الى محبوب الله بل بهذه الطريق بدل دين الله وشرايعه وابتدع الشرك
وكل ما لم ينزل به سلطانا وكل ما في الكتاب والسنة وكلام السلف والايمة ومشايخ
الطريق من الحض على اتباع ما انزل الله الينا من ربنا والنهى عن ضده فهو
لاجل هذا قال تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو الخالص لله الموافق لامره
كما قال الفضيل بن عياض وغيره والاعمال اربعة فواحد منها مقبول وثلاثة
ارباعها مردودة فالمقبول ما وافق الامر واريد به وجه الله ولا يقبل الله
عملا سواه والمردود ان لا يكون خالصا لوجهه ولا موافقا لامره او ينتفي عنه احدهما
فالمقبول ما وجد فيه الامران والمردود ما انتفى عنه الامران او احدهما ولهذا
اشتدت وصاة الشيوخ المستقيمين بهذا الاصل واخبروا ان من عدل
عنه فهو مطرود عن طريق قصده مصدود فقال ابن الجوزى من عمل عملا بلا
اتباع سنة فباطل عمله وقال سهل بن عبد الله التسترى كل فعل يفعله العبد
بغير اقتداء فهو عيش النفس وكل فعل يفعله بالاقتداء فهو عذاب على النفس
وقال ابو حفص النيسابورى من لم يزن اقواله وافعاله كل وقت بالكتاب والسنة
ولم يتهم خواطره فلا يعد في ديوان الرجال وقال الجنيد بن محمد الطرق كلها
مسدودة على الخلق الا من اقتفى اثر الرسول وقال ايضا من لم يحفظ القرآن
ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الامر لان علمنا هذا مقيدا بالكتاب
والسنة وقال ابو عثمان النيسابورى من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق
بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة قال الله تعالى
وان تطيعوه تهتدوا وقال ابو حمزه البغدادى من علم الطريق الى الله

سهل

١٩

سهل عليه سلوكه ولا دليل على الطريق الى الله الا متابعة الرسول فى احواله
واقواله وافعاله وقال ابو عمرو ابن نجيد كل حال لا يكون عن نتيجة علم فان
ضررة اكثر على صاحبه من نفعه وقال التصوف الصبر تحت الامر والنهى
وقال ابو يعقوب النهرجوري افضل الاحوال ما قارن العلم وهذا كثير في
كلام المشايخ وانما وصوا بذلك لما يعلمونه من حال كثير من السالكين انه
يجري مع ذوقه ووجده وما يراه ويهواه غير متبع لسبيل الله التى بعث بها رسوله
وهذا هو اتباع الهوى بغير هدى من الله ولا ريب ان السماع المحدث من اعظم
المحركات للهوى ولهذا سمى بعض الايمة المصنفين كتابه في ابطاله وذمه بالدليل
الواضح فى النهى عن ارتكاب الهوى الفاضح ولهذا يامر المشايخ المستقيمون
منهم باتباع العلم ويعنون به الشريعة كقول ابي يزيد البسطامي عملت في
المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيا اشد على من العلم ومتابعته وقال
ابو الحسين النورى من رايته يدعى مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي
فلا تقربن منه وقال ابو عثمان النيسابورى الصحبة مع الله بحسن الادب ودوام
الهيبة والمراقبة والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ولزوم
ظاهر العلم والصحبة مع اولياء الله بالاحترام والخدمة والصحبة مع الاهل
بحسن الخلق والصحبة مع الاخوان بدوام البشر ما لم يكن اثما والصحبة مع
الجهال بالدعاء لهم والرحمة والشفقة عليهم وذلك لانه لما كان اصل الطريق
هو الارادة والقصد والعمل وذلك يتضمن الحب فكثيرا ما يعمل السالك
بمقتضى ما يجده فى قلبه من المحبة وما يدركه بذوقه من طعم العبادة وهذا
اذا لم يكن موافقا لامر الله ورسوله فصاحبه في ضلال وهو ممن اتبع هواه
قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا وقال
فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواهم ومن اضل ممن اتبع هواه
بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين فجعل كلما خالف الامر
فصاحبه متبع هواه فما ثم واسطة بل اما الامر واما الهوى وقال تعالى
ولئن اتبعت اهواهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي
ولا نصير وقال ولئن اتبعت اهواهم من بعد ما جاءك من العلم انك
اذا لمن الظالمين واعلم ان بدعة السماع تتضمن الغلو في الدين واتباع
الهوى والعشو عن ذكر الله فانهم حسبوا ان هذه البدعة دين وقربة
تقربهم الى الله وهذا من اقبح الغلو وهو يوجب الانحراف عن الصراط

المستقيم واتباع الهوى يوجب الضلال عن سبيل الله قال تعالى ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما
نسوا يوم الحساب والعشو عن ذكر الله يوجب مقارنة الشيطان له قال تعالى
ومن يعشو عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وذكر الله هنا هو كتابه
ومن العشو عنه التعوض عنه بالسماع الشيطاني المحدث وقال تعالى ثم جعلناك
على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك
من الله شيا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين فالشريعة التي
جعله ربه عليها تتضمن ما امره به ورضيه له وكل عمل وجب ودوق ووجل
وحال لا تشهد له هذه الشريعة التي جعله عليها فباطل وضلال وهو من
اهواء الذين لا يعلمون فليس لاحد ان يتبع ما يحبه فيامر به ويتخذه دينا وينهى
عما يبغضه ويذمه الا بهدى من الله وهو شريعته التي جعل عليها رسوله وامر
والمومنين باتباعها ولهذا كان السلف يسمعون كل من خرج عن الشريعة في شي
من الدين من اهل الاهواء ويجعلون اهل البدع هم اهل الاهواء فيذمونهم
بذلك ويحذرون عنهم ولو ظهر ما ظهر من العلم والعبادة والزهد والفقر
والاحوال والخوارق قال يونس بن عبد الاعلى قلت للشافعي تدري ما قال
صاحبنا يريد الليث بن سعد كان يقول لو رايته يريد صاحب البدعة يمشي
على الماء لا تثق به ولا تعبا به ولا تكلمه قال قصر والله يريد ان حاله اقبح
من ذلك وقال ابو العالية تعلموا الاسلام والسنة فاذا تعلمتموه فلا ترغبوا
عنه وعليكم بالصراط المستقيم فلا ترغبوا عنه يمينا وشمالا وعليكم بسنة لعله تميلوا
نبيكم والذي كان عليه اصحابه واياكم وهذه الاهواء التي تلقي بين الناس العداوة
والبغضاء قال عاصم فحدثت به للحسن فقال صدق ونصح قال فحدثت به
حفصة بنت سيرين فقالت يا ابا علي انت حدثت محمدا بهذا قلت لا فحدثه قالت
اذا وقال ابن كعب رضي الله عنه عليكم بالسبيل والسنة ما على الارض عبد على
السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشيته الله فيعذبه وما على
الارض عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية
الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذا اصابتها ريح
شديدة فتحات عنها ورقها الاحط عنه خطاياه كما تحات عن تلك الشجرة
ورقها وان اقتصادا في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل
وسنة فانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون ذلك على

منهاج

منهاج الانبياء وسنتهم وقال عبد الله بن مسعود الاقتصاد في السنة خير
من الاجتهاد في البدعة وقيل لابي بكر ابن عياش يا ابا بكر من السني قال الذي
اذا ذكرت الاهواء لم يتعصب لشي منها وهذا اصل عظيم من اصول سبيل
الله والطريق الموصل اليه يجب الاعتناء به فان كثيرا من الافعال قد يكون مباحا
او مكروها او محرما اما بالاتفاق او فيه نزاع بين العلماء فيستحسنه طايفة
من الناس ويفعلونه على انه قربة وطاعة ودين يتقربون به الى الله حتى
يعدون من يفعل ذلك افضل ممن لا يفعله وربما جعلوا ذلك من لوازم
طريقهم الى الله او جعلوه شعار الصالحين واولياء الله ويكون ذلك خطا
وضلالا ودينا مبتدعا لم ياذن به الله مثال ذلك حلق الراس في غير الحج والعمرة
من غير عذر اختلف الناس في اباحته وكراهته على قولين وهما روايتان عن
احمد ولا اختلاف بينهم انه لا يشرع ولا يستحب ولا هو قربة الى الله ومع
هذا فقد اتخذه طوايف من النساك والفقراء دينا حتى جعلوه شعارا او علامة
على الدين والنسك والخير وجعلوه من تمام التوبة حتى ان من لم يفعل ذلك
يكون منقوصا خارجا عن الطريق المفضلة المحمودة عندهم ومن فعل ذلك دخل
في هديهم وطريقهم وهذا خروج عن طريق الله وسبيله باتفاق المسلمين
واتخاذ ذلك دينا وشعارا لاهل الدين من اسباب تبديل الدين فكما انه لا حرام
الا ما حرمه الله ولا واجب الا ما اوجبه الله فلا دين الا ما شرعه الله ولا
مباح الا ما اباحه فصل الوجه الثاني ان قولهم ان هذا السماع يحصل محبوب
الله وما حصل محبوب الله .... فهو محبوب له قول
باطل وهو منشا الضلال في هذه المسالة والتز المنحرفين في هذه المسالة
حصل لهم الضلال والغي من هذه الجهة فظنوا ان السماع يثير محبة الله ومحبة
الله هي اصل الايمان الذي هو عمل القلب وبكمالها يكون كمال الايمان وابو طالب
المكي يجعلها نهاية المقامات وابو اسمعيل الانصاري يقول هي المقام الذي
يلتقي فيه مقدمة العامة وساقة الخاصة وهولاء جعلوا السماع من توابع المحبة
ووسايلها ومنشا الغلط ان ما يثيره هذا السماع المبتدع ونحوه من الحب وحركة
القلب ليس هو الذي يحبه الله ورسوله بل اشتماله على ما لا يحبه الله بل على
ما يبغضه اكثر من اشتماله على ما يحبه وصده عما يحبه الله ورسوله ويرضاه
اعظم من تحريكه لمحابه ومراضيه ونهيه عما يقرب منه اكثر من امره به ولا ريب
انه يثير حبا وحركة لكن منشاء الغلط ظن ان ذلك مما يحبه الله وانما ذلك

من اتباع الظن وما تهوى الانفس ولقد جاكم من ربهم الهدى فصل ومما يوضح
ذلك ويبينه ان الله سبحانه وتعالى بين فى كتابه محبته وذكر موجباتها وعلاماتها
وهذا السمع يوجد مضاد الذلك منافياله قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم
كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله وقال فسوف يات الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة
على المومنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لايم فهذه
ثلاثة اصول لاهل محبة الله تضمنتها هذه الايات الثلاث فالاية الاولى تضمنت
متابعة الحبيب فى اقواله وافعاله وهديه وسيرته والاية الثانية تضمنت افراد الرب
تعالى بالمحبة واخلاص الدين له وان لا يحب معه سواه وكل محبوب فانما يسوغ محبته تبعا
لمحبة الله وفى الله لا مع الله فمحبة المشركين مع الله ومحبة المخلصين لله وفى الله والاية
الثالثة تضمنت الجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلماته واعزاز دينه وترك الالتفات الى
اللوم فهذه الاصول الثلاثة هى الفرقان بين الناس وبها يوزن اهل الانحراف واهل
الصراط المستقيم فمن احب شيا غير الله كما يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله
اندادا يحبهم كحب الله وقال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره فلا ينجي العبد الا
ان يكون الله ورسوله احب اليه من كل شيء وطاعة الله ورسوله اثر عنده من كل
شيء والله تعالى لم يرض من عباده ان يكون حبهم له ولرسوله كحب الاهل والمال
بل ان يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله احب اليهم من اهلهم واموالهم ومساكنهم
وتجاراتهم وعشايرهم والمقصود ان للمحبين ثلاثة اصول بها تتحقق محبتهم الاخلاص
وافراد محبوبهم تبارك وتعالى بالمحبة والثاني الجهاد في سبيله وهو الذي يصدق
ايمانهم ومحبتهم ويكذبها قال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اوليك هم الصادقون وبذلك وصف
الله اهل المحبة في قوله يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فوصفهم
بست صفات احدها محبتهم له والثانية ذلهم ولينهم على اوليائه والرابعة عزهم
وشدتهم على اعدائه والخامسة جهادهم في سبيله والسادسة احتمالهم لوم الخلق لهم
على ذلك وانهم ليسوا ممن يصده الكلام والعذل عن الجهاد في سبيل الله وانهم
ليسوا بمنزلة من يحتمل الملام والعذل في محبة ما لا يحبه الله ولا بمنزلة من اظهر من
مكروهات الرب تعالى ما يلامون عليه ويسمون بالملامتية اظهارا منهم لما يلامون

عليه

عليه في الظاهر وهم منطوون فى الباطن على الصدق فالاخلاص ستر احوالهم عن الناس
فهم فعلوا ذلك لعدم احتمالهم الملام والاولون احتملوا الملام فيما لا يحبه الله
واحباء الله فعلوا ما يحبه الله ولم تاخذهم فيه لومة لايم فالاقسام ثلاثة احدها
من يصده اللوم عن محاب الله والثاني من لا تاخذه في محبة الله لومة لايم والثالث
من يظهر ما لا يلام عليه اخفاء لقيامه بمحاب الله فالاول مفرط والثالث مومن
ضعيف والوسط هو الوسط الخيار وهو المومن القوي والمومن القوي خير واحب
الى الله من المومن الضعيف واعلا ما يحبه الله ورسوله الجهاد في سبيل الله واللايمون
عليه كثيرا اذ اكثر النفوس تكرهه واللايمون عليه ثلاثة اقسام منافق ومخذل مفتر
للهمة ومرجف مضعف للقوة والقدرة فصل واما متابعة الحبيب في اقواله
وافعاله فقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله قالت طائفة من
السلف ادعى قوم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فانزل الله
هذه الاية وهي اية المحبة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل حب
العبد لربه موجبا مقتضيا لاتباع رسوله وجعل اتباع رسوله موجبا مقتضيا
لمحبة الرب عبده فاذا عرفت هذه الاصول فعامة السماعاتية مقصرون فيها وهم
في ذلك التقصير بحسب كثرة تعوضهم بالسمع عن القران وقلته حتى آل الامر ببعضهم
الي الانسلاخ من الاسلام بالكلية واما من فيه منهم محبة الله ورسوله فهم مقصرون
في الاصول الثلاثة وهي الجهاد في سبيل الله ومتابعة رسوله واخلاص الدين
له ففيهم من الشرك الخفي والجلي ما ينافي كمال الاخلاص وفيهم من البدعة ما ينافي
كمال المتابعة وفيهم من الرهبانية ما ينافي كمال الجهاد في سبيل الله والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر بل كثير منهم يجد ذلك نقصا في الطريق وهم ابعد الناس عن الجهاد
حتى يوجد في كثير من العامة من هو اكثر جهادا وامرا بالمعروف ونهيا عن المنكر منهم
ومن هو اشد غضبا وغيرة لمحارم الله وموالاة لاوليائه ومعاداة لاعدائه منهم
واما الاخلاص فهذا السمع وتوابعه يقدح في كماله فانه في الاصل سمع المشركين
اهل المكاء والتصدية ويتبع ذلك من اتخاذهم الشيوخ الاحياء والاموات الهة من
دون الله ما يضاهون به النصارى وكثير منهم يعطي المخلوق حق الخالق من
الحلف به والتذلل له والتوكل عليه والسجود له وحلق الراس له والتوبة له وخوفه
ورجائه من دون الله ولهذا يكون كثير من سماعهم الذي يحرك وجدهم ومحبتهم
انما يحرك وجدهم ومحبتهم لغير الله فلا العمل صالح ولا القصد خالص فلا اخلاص
ولا اتباع ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاهم من ربهم الهدى

واما الشريعة وما امر الله به ونهى عنه واحله وحرمه ففي كثير منهم من المخالفة ..
لذلك جل من الاستخفاف بمن يتمسك به ما فيهم حتى يسقط من قلوبهم تعظيم
كثير من فرايض الله ومحارمه فيضيع فرايضه ويستحل محارمه ويتعدى حدوده
اما اعتقادا واما عملا وكثير من خيارهم الذين يعظمون الامر والنهي يقعون في فروع
ما وقع فيه اوليك اما جهلا واما تفريطا واما تاويلا ومن القوم من يصرح
بسقوط الفرايض ويستحل المحرمات ويقول الاوراد لاهل الغفلة واما اصحاب
حضرة السمع فهم مستغنون بواردتهم عن اوراد العباده كما انشد بعضهم

يطالب بالاوراد من كان غافلا … فكيف بقلب كل اوقاته ورد

وبعض هولاء سمع اقامة الصلاة وهو في السمع فقال كنا في الحضرة فصرنا على الباب
فقال له صاحب القرآن صدقت والله كنت في حضرة الشيطان فدعيت الى باب
الرحمن فليتدبر اللبيب الناصح لنفسه ما الذي جره السمع على هذه الطائفة حتى يقول
قايلهم انه قد يكون النفع للقلب من قراءة القرآن من ستة اوجه او سبعة فيا
اهلا وسهلا بسماع الفساق واهل الشهوات بالنسبة الى سمع هولاء المقربين ارباب
الحضرة فان اوليك لا يقعون في شيء من هذه العظايم وهم يعترفون بانهم
مذنبون مخطيون وفي قلوب مومنيهم من محبة ما يحبه الله ورسوله وكراهة
ما يكرهه اضعاف ما في قلوب كثير من هولاء لان محبة السمع اضعفت من قلوبهم
محبة ما يحبه الله ورسوله وكراهة ما يكرهه ولهذا ليس للقرآن والصلاة والعلم
في قلوبهم من المحبة والحلاوة والطيب ما في قلوب اهل كمال الايمان بل قد يكرهون
بعض ذلك ويستثقلونه ولهم نصيب من حال الذين اذا ذكروا بايات ربهم
خروا عليها صما وعميانا ونصيب من حال الذين اذا قاموا الى الصلاة قاموا
كسالى وهم يجدون في نفوسهم استثقال سمع القرآن وقراته لما اعتاضوا عنه
بضده ونده وان ارتاحوا الى سماعه فللقدر المشترك الذي يكون بينه وبين
سماعهم من الاصوات المطربه والالحان ولهذا يرتاحون لذلك في الشعر
الكفري والفسقي والرباني والمقصود ان هذا السمع الشيطاني من اكبر الاسباب
المضادة لاصول اولياء الله المقربين الثلاثة الاخلاص والمتابعة والجهاد

فصل ومما ابتلي به هولاء ما وجدوه في كثير ممن ينتسب الى الشريعة والى الجهاد
من ضعف حقايق الايمان في قلوبهم وسوء نياتهم ومقاصدهم وبعدهم عن
الاخلاص ومراعاة صلاح قلوبهم وتزكية نفوسهم وتطهير سرايرهم وانهم لا
يقصدون بالجهاد ان تكون كلمة الله هي العليا وان يكون الدين كله لله كما وجدوه

في

في كثير ممن يذم السمع الذي لهم من قسوة القلب والبعد عن مكارم الاخلاق وذوق حقيقة
الايمان فصار هذا التفريط في المنكرين عليهم شبهة لهم في التمسك بما هم عليه وعدم
التفاتهم الى من ينكر عليهم ولو ان المنكر عليهم شاركهم فيما عندهم من الاخلاق والمحبة
واعمال القلوب ومراعاتها والعفة في منازلاتها وواردتها لانقادوا له ولراوه فوقهم
في ذلك والاقرار له مذعنين ولكن نفوسهم لا تنقاد لمن هو على ضد طريقتهم ومن
هو من اقسى الناس وابعدهم عن المحبة واحكامها ومن اعمال القلوب واذواق حلاوة
المعاملة واذا تلاقت ارواحهم تنافرت اشد النفار فالبلا مركب من تفريط هولاء
وعدوان هولاء وصارت كل طايفة معرضة عن ما مع الاخرى من الحق مستطيلة
عليها بما معها من الباطل واما اهل الصراط المستقيم الوسط العدل الخيار فيتبراون
من الباطل الطايفتين ويقرون لحق الفريقين وينقادون لما مع كل منهما من الحق
وينكرون ما معها من الباطل فمن قال من الفريقين حي على الهدى والفلاح اجابوا نداه
ولبي دعوته ومن قال حي على البدعة واتباع ما لم ينزل الله به سلطانا اعرض عنه وجاهده
بحسب استطاعته وهذا دين الله الذى لا يقبل من احد دينا سواه وهو اتباع ما بعث
الله به رسوله في جميع الامور وترك اتباع ما يخالف ذلك واجماع القلوب على
هذا الاتباع والترك كما قال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة
الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة
من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واوليك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين
تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاتهم البينات واوليك لهم عذاب عظيم يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون قال
ابن عباس تبيض وجوه اهل السنة والجماعة وتسود وجوه اهل الفرقة والبدعة
فتبين بطلان استدلال السماعاتية على صحة سمع المكاء والتصدية والغناء بالالحان
بما سمعه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من الشعر من كل وجه قال صاحب القران
وقولك ايها السماعي قد جرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ما هو قريب
من الشعر وان لم يقصد ان يكون شعرا فنقول في جواب هذا الحمد لله الذى عافانا
مما ابتلى به كثيرا من خلقه فلو جرى على لسانه الكريم حقيقة الشعر انشاء وقد
اعاذه الله تعالى منه قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له لم يكن في ذلك شبهة
لك في حل الغناء وسمع الالحان فما اعجب حالكم ايها السماعاتية اذ تحتجون بقوله صلى الله عليه

وسلم اللهم لا عيش الا عيش الآخرة … فاغفر للانصار والمهاجرة

هل انت الا اصبع دميت … وفي سبيل الله ما لقيت

على حل الغناء والزمر والدفوف والشبابات والرقص والطرب على تاناننا تنتنا والله
تعالى الموفق لمن يشاء والخاذل لمن يشاء فصل قال صاحب الغناء وقد سمع السلف
والاكابر الابيات بالالحان ومن قال باباحته من السلف مالك بن انس واهل الحجاز
كلهم يبيحون الغناء فاما الحداء فالاجماع منهم على اباحته وهو الغناء

رضيعي لبان ثدي ام تقاسما … باسحم داج عوض لا نتفرق

قال صاحب القرآن كلامك هذا يتضمن اثبات باطل وترك حق وهو ان كان عمدا
فعظيمة وان كان غلطا فتقصير وتفريط في حق العلم وذلك ان المعروف عن
ايمة السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم مثل عبد الله بن مسعود وعبد
الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وغيرهم من الصحابة وكذلك
عن ايمة التابعين ومن بعدهم من الايمة الاربعة وغيرهم انكاره حتى ذكر زكريا بن يحيى
الساجي في كتابه الذي ذكر فيه اجماع اهل العلم واختلافهم انهم متفقون على المنع
منه الا رجلان سعد بن ابراهيم من اهل المدينة وعبيد الله بن الحسن العنبري من
اهل البصرة وقد تقدم حكاية ذلك فكيف ينقل عن السلف والاكابر ما هم ابعد
الناس منه واما نقلك عن مالك بن انس واهل الحجاز كلهم فهذا من اقبح الغلط والفحش
فان مالكا نفسه لم تختلف قوله وقول اصحابه في ذمه والمنع منه وكراهته بل هو من
المبالغين في ذلك الشاهدين على اهله بالفسق ولهذا لما سال اسحاق بن عيسى الطباع
عما يرخص فيه اهل المدينة من الغناء قال انما يفعله عندنا الفساق ومولفات
اصحابه في تحريمه شاهدة بذلك والشافعي لم تختلف قوله في كراهته وقال في
كتابه المعروف بادب القضاء الغناء لهو مكروه شبيه بالباطل ومن استكثر
منه فهو سفيه ترد شهادته وقد قال عن سمع التغبير الذي هو من احسن سماعات
هولاء انه مما احدثته الزنادقة يصدون به الناس عن القرآن واما فقهاء الكوفة
فمن اشد الناس تحريما للغناء ولم يتنازعوا في ذلك ولم يخالفهم الا العنبري
فصل قال صاحب الغناء قد ذكر محمد بن طاهر في مسالة السماع حكاية عن مالك
انه ضرب بطبل فانشد ابياتا ومالك مالك قال صاحب القران قد اعاذ
الله مالكا واصحابه من هذا البهتان والعزيه ومالك اجل عند الله وعند اهل
الاسلام من ذلك والكذب الفاحش على الايمة المشهورين صنعه جهلة الكذابين
فلو ان واضع هذه الحكاية نسبها الى من ليس في الشهرة والامامة والجلالة كمالك

لامكن

لامكن ان تخفى وتروج على الجهال واما على امام دار الهجرة فسبحانك هذا بهتان عظيم
فصل قال صاحب الغناء وقد وردت الاخبار واستفاضت الآثار في ذلك
روى عن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له اذا اتى بك يوم القيامة
ويوتى بحسناتك وسيئاتك ففي اي الجانبين يكون السماع فقال لا في الحسنات
ولا في السيئات يعني انه من المباحات قال صاحب القرآن ليس عن ابن جريج واهل
مكة من يعرف عنهم الغناء بل المشهور عنهم خلاف ذلك ثم هذه الحكاية وامثالها
هي الى ان تكون حجة عليكم اقرب من كونها حجة لكم فانه قال يكون السماع لا في الحسنات
ولا في السيات فجعله بمنزلة اللهو واللعب الباطل الذي احسن احواله ان لا يكون للعبد
ولا عليه ومع هذا فلا بد ان ينقص من حسناته ولم يجعله ابن جريج ولا احد
قبل هذه الطائفة دينا وقربة وصلاحا للقلوب ويفضله على سماع القرآن من وجوه
متعدده بل غاية ما يحكى عن من يرخص فيه انه جعله بمنزلة الغناء والضرب بالدف
للنساء في العرس وايام الاعياد وعند قدوم الغايب وهو مع ذلك باطل كما
في الحديث الذي في السنن ان امراة نذرت ان تضرب بالدف رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالدف ففعلت فلما جاء عمر امرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسكوت
وقال ان هذا رجل لا يحب الباطل وسمى الصديق غناء الجاريتين لما كان صغرهما وكونه
يوم عيد وخلو ما تغنيان به من الات المعازف وغناء الالحان والطرابات ولم
يقل هو قربة وطاعة وصلاح للقلوب بل قد ثبت عنه في الصحيح انه قال كل لهو يلهو
به الرجل فهو باطل الا رميه بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته امراته فانهن
من الحق ومعلوم ان الباطل من الاعمال هو ما ليس فيه منفعة فهذا يرخص
في بعضه احيانا للنفوس التي لا تصبر على الحق المحض ويرخص منه في القدر الذي
يحتاج اليه في الاوقات التي تتقاضى ذلك كالاعياد والاعراس وقدوم الغايب
وتلك نفوس الصبيان والنساء والجواري الصغار وهن اللاتي غنين في بيت عايشة
وضربن بالدف خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند تلقيه فرحا وسرورا
به فهذا كان فرح هولاء الضعفاء العقول الذين لا تحتمل عقولهم الصبر تحت محض
الحق فكان في اقرارهم والترخيص لهم في هذا القدر مصلحة لهم وذريعة الى
انبساط نفوسهم وفرحهم بالحق فهو من نوع الترخيص في اللعب بالبنات وما
شاكل ذلك وهذا من كمال شريعته ومعرفته بالنفوس وما تصلح عليه وسوقها
الى دينه بكل طريق وفي كل واد ومن المعلوم ان نفوس الصغار والعقول الضعيفة
اذا حملت على محض الحق وحمل عليها ثقله تفسخت تحته واستعصت ولم تنقد

فاذا اعطيت شيا من الباطل ليكون لها عونا على الحق ومنفذا له كان اسرع لقبولها
وطاعتها وانقيادها فما لمشايخ الطرق والسالكين الى الله والاخذين انفسهم بالجد المحض
والمعرضين عن حظوظهم الذين لم يعبدوا الله شوقا الى جنته ولا خوفا من ناره اذ
ذلك عين حظهم وهو نقص في طريقتهم وهذا الباطل واللهو الذي هو حظ الاطفال
والنساء والجواري ولا ريب ان الرجال لم يكن ذلك فيهم بل كان السلف يسمون
الرجل المغني مخنثا لتشبهه بالنساء وقد روي اقروا القرآن بلحون العرب واياكم
ولحون العجم فالمخانيث والنساء وسيل القاسم بن محمد عن الغناء فقال للسايل ارايت
اذا ميز الله يوم القيمة بين الحق والباطل ففي ايهما يجعل الغناء فقال في الباطل فقال
فماذا بعد الحق الا الضلال فكان العلم بانه من الباطل مستقرا في نفوسهم كلهم
وان فعله بعضهم فصل قال صاحب الغناء فهذا الشافعي لا يحرمه ويجعله
من العوام مكروها حتى لو احترف بالغناء او اتصف به على الدوام وبسماعه على وجه
التلهي ترد به شهادته ويجعله مما يسقط المروة ولا يلحقه بالمحرمات وليس الكلام
في هذا النوع من السمع فان هذه الطايفة جلت رتبتهم عن ان يسمعوا بلهو او يقعدوا
للسمع بسهو او يكونوا بقلوبهم متفكرين في مضمون لغو قال صاحب القران لم
يختلف قول الشافعي في كراهته والنهي عنه للعوام والخواص ولكن هل هي كراهة تحريم
او تنزيه او يفصل بين بعض وبعض وهذا مما تنازع فيه اصحابه وهذا قوله في
سمع العامة واما سمع الخاصة الذين يشيرون اليهم فهو عند الشافعي من فعل الزنادقة
كما تقدم حكاية كلامه فعند الشافعي ان هذا السمع الذي للخاصة اعظم من ان يقال
فيه انه مكروه او حرام بل هو عنده مضاد للايمان وشرع دين لم ياذن به الله ولم
ينزل به سلطانا وان كان من المشايخ والصالحين من تاول في فعله وبتاويله واجتهاده
يغفر الله له خطاه ويثيبه على ما معه التاويل من قصد خالص وان لم يكن العمل
صوابا والتاويل والاجتهاد من باب المعارض في حق بعض الناس يدفع عنه به
العقوبة كما تدفع بالتوبة والحسنات الماحية وهذا انما هو لمن استفرغ وسعه
في طلب الحق ما استطاع وقول الشافعي في هولاء نظير قوله في اهل الكلام حكمي
في اهل الكلام ان يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشاير والقبايل ويقال
هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واقبل على الكلام وقوله لان يبتلى العبد
بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من يبتلى بالكلام في هذه الاهواء فهذا
مذهبه في المتكلمين وتلك شهادته في اهل السمع وهذا من كمال نصيحته رضي الله
عنه لما علم من دخول الفساد على الامة من هاتين الطايفتين وبالجملة فالكلام في

السمع

السمع على وجهين احدهما سماع اللهو واللعب والطرب فهذا يقال فيه مكروه او محرم
او باطل او مرخص في بعض انواعه والثاني السمع المحدث لاهل الدين والقربة فهذا
يقال فيه انه بدعة وضلالة وانه مخالف لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
واجماع السالفين جميعهم وانما حدث في الامة لما حدث الكلام فكثر هذا في اهل النظر
والعلم وكثر هذا في اهل الارادة والعبادة ولهذا كان يزيد بن هارون شيخ الاسلام
في وقته وهو من اتباع التابعين ينهى عن مجالسة الجهمية والمغيرة هولاء اهل الكلام
المخالف لكتاب الله وسنة رسوله وهولاء اهل السماع المحدث المخالف للكتاب والسنة
ولهذا لم يستطع احد قط ممن زعم ان هذا السماع قربة ومستحب ان ياتي باثر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من اصحابه بذلك الا من جاهر بالوقاحة
والكذب وزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع هذا السماع وتواجد عليه
حتى شق قميصه فليبشر من نسب هذا اليه بمقعده من النار فصل قال صاحب
الغناء وقد روي عن ابن عمر وعبد الله بن جعفر اثار في اباحة السماع هذا مع تشدد
ابن عمر وزهده ودينه وحرصه على متابعة الرسول وبعده من البدع وعبد الله
ابن جعفر الطيار قال صاحب القرآن اما ما نقلت عن ابن عمر فانه نقل باطل
والمحفوظ عن ابن عمر ذمه للغناء ونهيه عنه كما هو المحفوظ عن اخوانه من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كابن مسعود وابن عباس وجابر وغيرهم ممن رضيهم
المسلمون قدوة وايمة وهذه سيرة ابن عمر واخباره ومناقبه وفتاويه بين الامة
هل تجد فيها انه عمل هذا السماع او حضره او رخص فيه فقد نزه الله سمع ابن
عمر عنه بل واصحاب ابن عمر واما ما نقلت عن عبد الله بن جعفر فلا ريب انه قد
نقل عنه ذلك لكن المنقول عنه انه كانت له جارية تغنيه في بيته فيستمع بسماع
غنايها هذا غاية ما نقل عنه وليس ابن جعفر ممن يعارض به اركان الامة كابن
مسعود وابن عباس وجابر وابن عمر ومن احتج بفعل عبد الله بن جعفر فليحتج
بفعل معوية في قتاله لعلي وبفعل عبد الله بن الزبير في قتاله في الفرقة وبفعل
مروان ابن الحكم في خطبه يوم العيد قبل الصلاة وامثال ذلك مما لا يصلح لاهل
العلم والدين ان يدخلوه في ادلة الشرع لا سيما النساك والزهاد واهل الحقايق
فانهم لا يصلح لهم ان يتركوا سبيل مثل ابي ذر وابي ايوب الانصاري وعمار بن ياسر
وابي الدرداء ومعاذ بن جبل وابي عبيدة بن الجراح والمشهورين بالنسك
والعبادة ويتبعون سبيل من اتخذ جارية تغنيه في بيته للهو واللذة ويجعلونه
حجة لهم فيما بينهم وبين الله في الرقص وسماع الاغاني المطربة من الشاهد المليح

بمساعدة الدفوف والشبابات والمواصيل هذا مع ان الذي فعله عبد الله بن جعفر كان
في داره لم يكن يجمع الناس على ذلك ولا يدعوا اليه ولا يعده دينا وقربة تقربه الى
الله بل هو من الباطل واللهو فصل قال صاحب الغناء فقد ثبت عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه سمع الحداء وحدى الحداء بين يديه وكذلك عمر بن الخطاب بعده رخص
في الحداء والغناء والحداء كل منهما انشاد باصوات مطربة وهما كما قال الشاعر

فان لا يكنها او تكنه فانه ۔ اخوها غذته امه بلبانها

قال صاحب القرآن قد اتفق الناس على جواز الحداء وثبت ان عامر بن الاكوع كان
يحد بالصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم ففي الصحيحين عن سلمة بن الاكوع قال
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن
الاكوع الا تسمعنا من هنياتك وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم يقول

اللهم لولا انت ما اهتدينا ۔ ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا ۔ وثبت الاقدام ان لاقينا
انا اذا صيح بنا اتينا ۔ وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا السايق قالوا عامر بن الاكوع قال
يرحمه الله قال رجل من القوم وجبت يا نبي الله لولا امتعتنا به وذكر الحديث وذلك
في غزوة خيبر وفي الصحيح حديث انجشة الحبشي الذي كان يحدوا بالنبي صلى الله
عليه وسلم حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم رويدك يا انجشة سوقك بالقوارير
يعني النساء امره بالرفق بهن لئلا يزعجهن الابل في السير اذا اشتد سيرها ولئلا
يزعجن بصوت الحادي والحديث متفق عليه فمن الذي حرم الحداء حتى يحتجون علينا
بفعله بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قولكم ان الغناء ان لم يكنه
فهما رضيعا لبان وهما في بابهما اخوان فمن ابطل الباطل وهو من جنس استدلالكم
على حل الغناء والسماع بسماع النبي صلى الله عليه وسلم الشعر واستنشاده لروهل
هذا الا من افسد القياس وابطله واذا كان الامر كما تقولون فلم سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه الحداء والشعر ولم ينقل والعياذ بالله عن احد منهم
قط استماع الغناء وحضوره واقامته فضلا عن اتخاذه طاعة وقربة ودينا
فقياس الغناء على الحداء من جنس قياس الربا على البيع وقياس نكاح التحليل على
نكاح الرغبة ونكاح المتعة على النكاح المويد وامثال ذلك من الاقيسة التي
تتضمن الجمع بين ما فرق الله ورسوله بينهما فصل قال صاحب الغناء يكفينا
في هذا الباب ما قد اشتهر وعلمه الخاص والعام من حديث الجاريتين اللتين

كانتا

كانتا تغنيان في بيت عايشة بما تقاولت به الانصار يوم بعاث فانكر عليهما
ابو بكر وقال ابمزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهما يا ابا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا
قال صاحب القرآن الحديث من اكبر الحجج عليك فان الصديق سمى الغناء مزمور
الشيطان ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم هذه التسمية واقر الجويريتين
على فعله اذ هما جويريتين صغيرتين دون البلوغ غير مكلفتين قد اظهرتا الفرح والسرور
يوم العيد بنوع ما من انواع غناء العرب ولا سيما الصغار منهن في بيت جارية
حديثة السن بشعر من شعر العرب في الشجاعة ومكارم الاخلاق ومدحها وذم
الجبن ومساوي الاخلاق ومع هذا فقد سماه صديق الامة مزمور الشيطان
فيا لله العجب كيف صار هذا المزمور الشيطاني قربة وطاعة تقرب الى الله وتنال
بها كرامته واصحابه جلت رتبتهم ان يسمعوه بنفوسهم او لاجل حظوظهم هذا
وكم بين المزمورين فبينهما ابعد مما بين المشرقين ثم نحن نرخص في كثير من اللهو
واللعب وهذا نوع الغناء في النكاح للنساء والصبيان اذا خلا من الالات المحرمة
كما نرخص لهم في كثير من اللهو واللعب وهذا نوع من انواع المباح لبعض الناس
في بعض الاوقات فماله وللتقرب والتعبد به واستنزال الاحوال الايمانية والاذواق
العرفانية والمواجيد القلبية به ونظير هذا دخول عمر على النبي صلى الله عليه وسلم
وهروب النسوة اللاتي كن تغنين لما راينه ووضعوا دفوفهن تحتهن فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ما رآك الشيطان سالكا فجا الا سلك في غير فجك فاخبر ان
الشيطان هرب مع تلك النسوة وهذا يدل على ان الشيطان كان حاضرا مع اولئك
النسوة وهرب معهن فقد اقر النبي صلى الله عليه وسلم الصديق على ان الغناء مزمور
الشيطان واخبر ان الشيطان فر من عمر لما فر منه النسوة فعلم ان هذا من الشيطان
وان كان رخص فيه لهولاء الضعفاء العقول من النساء والصبيان لئلا يدعوهم
الشيطان الى ما يفسد عليهم دينهم اذ لا يمكن صرفهم عن كل ما يتقاضاه الطباع
من الباطل والشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها
فهي تحصل اعظم المصلحتين بتفويت ادناهما وتدفع اعظم المفسدتين باحتمال
ادناهما فاذا وصف العمل بما فيه من الفساد مثل كونه من عمل الشيطان لم يمنع ذلك
ان تدفع به مفسدة شر منه واكبر واحب الى الشيطان منه فيدفع بما يحبه
الشيطان ما هو احب اليه منه ويحتمل ما يبغضه الرحمن لدفع ما هو ابغض
اليه منه ويفوت ما يحبه لتحصيل ما هو احب اليه منه وهذه اصول من

رزق فهمها والعمل بها فهو من العالمين بالله وبامره ولا ريب ان الشيطان موكل ببني
آدم يجري منهم مجري الدم وقد اعين بما ركب في نفوسهم وجبلت عليه طباعهم
وامتحنوا به من اسباب الشهوة والغضب فلا يمكن حفظ من هذا شانه مع عدوه
من كل الشيطان فيه نصيب وهو له حظ في كل اعمال العبد حتى في صلاته كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا يجعل احدكم حظا للشيطان من صلاته يرى ان حقا عليه
ان لا ينصرف الا عن يمينه فاذا كان هذا القدر من حظ الشيطان في صلاة العبد
فما الظن بما هو اعظم من ذلك واكبر وسيل صلى الله عليه وسلم عن الالتفات
في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد واذا لم يمكن حفظ
العبد نفسه من جميع حظوظ الشيطان منه من كان من معرفته وفقهه وتمام توفيقه
ان يدفع حظه الكبير باعطايه حظه الحقير اذا لم يمكن حرمانه الحظين كليهما فاذا
اعطيت النفوس الضعيفة حظا يسيرا من حظه يستجلب به من استجابتها وانقيادها
خير كبير ويدفع به عنها شرا كبيرا اكبر من ذلك الحظ كان هذا عين مصلحتها
والنظر لها والشفقة عليها وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسرب الجواري
الى عند عايشة يلعبن معها ويمكنها من اتخاذ اللعب التي هي في صور خيل باجنحة
وغيرها ويمكنها من النظر الى لعب الحبشة وكان مرة بين اصحابه في السفر فامرهم
فتقدموا ثم سابقها فسبقته ثم فعل ذلك مرة اخرى فسابقها فسبقها فقال هذه
بتلك واحتمل صلى الله عليه وسلم ضرب المراة التي نذرت ان نجاه الله ان تضرب
على راسه بالدف لما في اعطايها ذلك الحظ من فرحها به وسرورها بقدمه
وسلامته الذي هو زيادة في ايمانها ومحبتها الله ورسوله وانبساط نفسها
وانقيادها لما يامر به من الخير العظيم الذي ضرب الدف فيه كقطرة سقطت في
بحر وهل الاستعانة على الحق بالشيء اليسير من الباطل الا خاصة الحكمة والعقل
بل يصير ذلك من الحق اذا كان معينا عليه ولهذا كان لهو الرجل بفرسه
وقوسه وزوجته من الحق لاعانته على الشجاعة والجهاد والعفة والنفوس
لا تنقاد الى الحق الا ببرطيل فاذا برطلت بشيء من الباطل لتبذل به حقا
وجوده انفع لها وخير من فوات ذلك الباطل كان هذا من تمام تربيتها
وتكميلها فليتامل اللبيب هذا الموضع حق التامل فانه نافع جدا والله اعلم

فصل قال صاحب الغناء وقد ندب النبي صلى الله عليه وسلم الى تحسين
الصوت بالقرآن فروي عنه البراء بن عازب قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول حسنوا القرآن باصواتكم فان الصوت الحسن

يزيد القرآن حسنا وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لكل شيء حلية
وحلية القرآن الصوت الحسن وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ليس منا
من لم يتغن بالقرآن وقد قال الامام احمد في تفسيره يحسنه بصوته ما استطاع
وقال الشافعي نحن اعلم بهذا من سفيان ينكر عليه قوله يستغني به وانما هو تحسين
الصوت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن
من صاحب القينة الى قينته فاذا ندب الى تحسين الصوت بالقرآن والتغني به جاز
ان يحسن الصوت بالشعر ويتغنى به واي حرج في تحسين الصوت بالشعر قال
صاحب القرآن هذه الادلة انما تدل على فضل الصوت الحسن بكتاب الله لا على
فضل الصوت الحسن بالغناء الذي هو مزمور الشيطان ومن قاس هذا بهذا وشبه
احدهما بالاخر فقد شبه الباطل بالحق وقاس قرآن الشيطان على كتاب الرحمن وهل
هذا الا نظير من يقول اذا امر الله بالقتال في سبيله بالسيف والرمح والنشاب قول
دل ذلك على فضيلة الطعن والضرب والرمي ثم يحتج بذلك على جواز الضرب والطعن
والرمي في غير سبيل الله بل على استحبابه ونظير من قال اذا امر الله بانفاق
المال في سبيله دل على فضيلة المال ثم يحتج بذلك على جواز انفاق المال
او استحبابه في غير سبيله ونظيره قول من يقول اذا امر الله بالاستعفاف بالنكاح
دل على فضيلة النساء ثم يحتج بذلك على جواز ما لم يامر به من ذلك وكذلك
كل ما يعين على طاعة الله ومحابه ومراضيه ولا يدل ذلك على انه في نفسه محمود
على الاطلاق حتى يحتج على انه محمود حال كونه معينا على غير طاعة الله من البدع
والفجور والمعاصي اذا ثبت هذا فتحسين الصوت وندب اليه وحمد الصوت
الحسن لما تضمنه من الاعانة على ما يحبه الله من سماع القرآن وتحصيل به من
تنفيذ معانيه الي القلوب ما يزيدها ايمانا ويقربها الى ربها ويدنيها
من محابه فالصوت الحسن من هذا ينفذ حقايق النفاق والفجور والفسوق
الى القلب ولهذا يظهر في الافعال وعلى اللسان فالسماع الشيطاني الذي يتقرب
به اهله الى الله ينفذ الصوت الحسن فيه حقايق النفاق الي القلب والسماع
الاخر الذي يعده اهله لهوا ولعبا ينفذ الصوت الله ورسوله من شهوات
الفسوق الى القلب فالاعتبار بحقايق المسموع والصوت الحسن آلة ومنفذ

فصل وقوله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن اما ان يريد
به الحض على اصل الفعل وهو نفس التغني به او على صفته وهو ان يكون
تغنيه اذا تغنى به لا بغيره وهذا نظير ما حمل عليه قوله تعالى وان احكم

بينهم بما انزل الله هل هو امر باصل الحكم او بصفته اذا حكم فيه قولان ونظيره
امره صلى الله عليه وسلم بالدعاء في السجود هل هو امر باصل الدعاء او المعنى
اذا دعوتم فاجعلوا دعاكم في السجود فانه قمن ان يستجاب لكم فقوله ليس منا
من لم يتغن بالقرآن ان اريد به الحض على نفس الفعل كان ذما لمن ترك التغني به
وان اريد به المعنى الثاني وهو انه اذا تغنى فليتغن بالقران كان ذما لمن تغنى
بغيره لا لمن ترك التغني به وبين المعنيين فرق ظاهر وقد يصح ان يرادا معا وانه
ذم من ترك التغني به ومن تغنى بغيره والله اعلم فصل قال صاحب الغناء
قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صوتان ملعونان صوت ويل عند
مصيبة وصوت مزمار عند نعمة ومفهوم خطابه يقتضي اباحة غير هذين
الصوتين في غير هاتين الحالتين والا بطلت فائدة التخصيص قال صاحب القرآن
هذا الحديث من اجود ما يحتج به على تحريم الغناء كما في اللفظ الاخر الصحيح
انما نهيت عن صوتين احمقين فاجرين صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير
الشيطان وصوت عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى
الجاهلية فنهى عن الصوت الذي يفعل عند المصيبة والصوت الذي عند النعمة
هو صوت الغناء قال صاحب الغناء انما نهى عن صوت المزمار وهو الذي
لعنه لا عن صوت الغناء قال صاحب القرآن المراد بصوت المزمار هنا
هو نفس صوت الانسان يسمى مزمارا ومزمورا كما قال صلى الله عليه وسلم
لابي موسى لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود فسمى صوته مزمارا وكما
قال الصديق لغناء الجاريتين امزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يكن معهما مزمور غير اصواتهما فكذلك قوله صلى الله عليه
وسلم نهيت عن صوتين احمقين فاجرين ثم فسرهما بالغناء والنوح اللذين
يثيرهما الطرب والحرب وقولك ان مفهوم الخطاب يقتضي اباحة غير
هذا فجوابه من وجهين احدهما ان مثل هذا اللفظ لا مفهوم له عند اكثر
اهل العلم فان التخصيص في مثل هذا بالعدد لا يقتضي اختصاص الحكم
به كقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث في امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن
لا يقتضي انه ليس فيهم من امر الجاهلية غير هذه الثلاث ومن قال من
الفقهاء بمفهوم العدد فانما يكون عنده حجة اذا لم يكن للتخصيص سبب
آخر وهنا التخصيص لكون هذين الصوتين كانا معتادين في زمنه وعلى عهده
في العرب الثاني ان اللفظ الذي ذكره صلى الله عليه وسلم يدل على مورد النزاع فانه

27

اذا نهى عن هذا الصوت عند النعمة التي يعذر الانسان عندها اذ هي محل فرح وسرور
كما رخص في غناء النساء في الاعراس والاعياد ونحو ذلك فلان ينهى عنه في غير
هذه الحال اولى واحرى فصل قال صاحب الغناء قد روى ابن طاهر المقدسي ان
انشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ٭ اقبلت فلاح لها ٭ عارضان كالسبج
ثم ادبرت فقلت لها ٭ والفواد في وهج ٭ هل على ويحكما ٭ ان عشقت من حرج ٭
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ان شاء الله وذكره ابو القاسم القشيري
في رسالته وهو نص في اباحة الغناء قال صاحب القرآن هذا الحديث مكذوب
موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشك فيه من له ادنى علم بسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمييز صحيحها من قبيحها وسمعت شيخ الاسلام
ابن تيمية قدس الله روحه يقول هذا الحديث موضوع باتفاق اهل المعرفة
بالحديث لا اصل له وليس هو في شيء من دواوين الاسلام وليس له اسناد ومن
له ادنى ذوق في الشعر يعرف ان هذا من شعر المتاخرين وليس من فحله
بل من ثنيانه وشعر العرب الفحل من هذا واحمس وكيف يظن بالنبي صلى الله عليه
وسلم ان يقول لا حرج من غير ان يسال عن معشوقته اهي ممن تحل له ام لا فقبح
الله واضعه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجراه على النار فصل
قال صاحب الغناء فقد روي ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وانشده
قد لسعت حية الهوى كبدي ٭ فلا طبيب لها ولا راقي
الا الحبيب الذي قد شغفت به ٭ فعنده رقيتي وترياقي
فتواجد صلى الله عليه وسلم عند سماعه قال صاحب القران فهذا
الحديث ايضا من الطراز الاول فليتبوا واضعه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقعده من النار سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول هذا كذب مفترا موضوع
باتفاق اهل العلم قلت وركاكة شعره وسماجته وما تجد عليه من الثقالة
من ابين الشواهد على انه من شعر المتاخرين البارد السمج فقبح الله الكذابين
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختلف الناس في كفر من كذب عليه وقتله
على قولين مشهورين وهما وجهان لاصحاب الشافعي وغيرهم والذين ذهبوا
الى كفره وقتله احتجوا بالاثر المشهور ان رجلا جاء الى قوم من العرب فقال اني
رسول رسول الله اليكم ان تزوجوني فزوجوه واكرموه ثم ارسلوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا قد فعلنا ما امرتنا به فامر بقتله قالوا وقد
توعده بانه يتبوا مقعده من النار والمبوء المكان اللازم له الذي لا يفارقه

آلنبي

قالوا وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس كذب علي ككذب على غيري فلو كان الكذب
عليه انما يوجب التعزير والكذب على غيره يوجبه لكانا سواء او متقاربين قالوا
ولان الكذب عليه يرجع الي الكذب على الله وان هذا دينه وشرعه ووصفه
والكذب على الله اقبح من القول عليه بلا علم والقول عليه بلا علم من اعظم
المحرمات بل هو في الدرجة الرابعة من المحرمات قال تعالى قل انما حرم ربي
الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون فذكر سبحانه وتعالى المحرمات
الاربع مبتدا بالاسهل منها ثم ما هو اصعب منه ثم كذلك حتى ختمها باعظمها
واشدها وهو القول عليه بلا علم فكيف بالكذب عليه قالوا ولان الكذب عليه
بانه قال كذا ولم يقله نسبة للقول المكذوب اليه وانه قاله فالكاذب يعلم ان
ما اختلقه كذب فاذا نسبه الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد نسب اليه
الكذب وهذا المذهب كما تري قوة وظهورا فصل قال صاحب الغناء وقد
روي ان اصحاب الصفة سمعوا يوما فتواجدوا ومزقوا ثيابهم ولنا الاسوة
فيهم قال صاحب القرآن هذا ايضا من جراب الكذب الذي فتحه البهاتون
الدجالون ولم يكن في القرون الثلاثة لا بالمدينة ولا بمكة ولا بالشام ولا باليمن
ولا بمصر ولا خراسان ولا العراق من يجتمع على هذا السماع المحدث فضلا
عن ان يكون نظيره كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان
احد يمزق ثيابه من السلف الصالح وهم كانوا اعلم بالله وافقه في دينه من
ان يقدموا على محرم في الشريعة باتفاق الامة وهو اتلاف المال واضاعته ∴
ويعدونه قربة الي الله تعالى ولا كان فيهم رقاص بل لما حدث التغبير في
المائة الثانية وكان اهله من خيار طائفتهم وكان مبدؤه وحدوثه من جهة
المشرق التي منها يطلع قرن الشيطان ومنها الفتن قال الشافعي خلفت ∴
ببغداد شيا احدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن
فصل قال صاحب الغناء قال ابو طالب المكي في كتابه القوت من انكر السماع
مطلقا غير مقيد فقد انكر على سبعين صديقا هذا في زمانه ولا ريب ان
المنكر بعده يكون انكاره على اضعاف هولاء قال صاحب القرآن ان كان قد
حضره وفعله سبعون صديقا فقد انكر عليهم سبعون وسبعون واكثر والمنكرون
عليهم اعظم علما وايمانا وارفع درجة فليس الانتصار لطائفة من الصديقين
على نظائرهم لاسيما على من هو اكبر منهم واجل واكثر عددا باولي من العكس

وحينئذ

٢٨

وحينئذ فتعارض قولك بما هو اولي منه ويقال من اقر على هذا السماع او استحبه
او انكر على من انكره فقد انكر على سبعين وسبعين واكثر من الصديقين
والعلماء وايضا فالذين حضروا هذا اللهو متاولين من اهل الصلاح والزهد والخير
غمرت حسناتهم ما كان فيهم من السيات والخطا من هذا ومن غيره وهذا سبيل
كل صالح في هذه الامة في خطائه وزلله قال الله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق
به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله
عنهم اسوء الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون وهذا كالمتاولين
من صالحي الكوفيين في النبيذ المسكر وان كان خمرا وكذلك المتاولون من صالحي
اهل مكة في المتعة والصرف وان كان سبيلها الزنا والربا وهم من ابعد الناس
عن ذلك وكذلك المتاولون في حل بعض ما حرمه الشارع من الاطعمة من المدينة
وغيرهم وكذلك المتاولون في مسالة حشوش النساء وكذلك المتاولون في
القتال في الفتنة الي امثال ذلك مما تاول فيه قوم من اهل العلم والدين من مطعوم
او مشروب او منكوح او مسموع او عقد ونحو ذلك مما قد علم ان الله ورسوله
حرمه لم يجز اتباعهم في ذلك وان كان مغفورا لهم او من السعي الذي يوجرون
عليه لاجتهادهم اجرا واحدا فالرب سبحانه يمحو السيات بالحسنات ويقبل التوبة
عن عباده ويعفوا عن السيئات فصل وها هنا اصل يجب اعتماده وهو ان الله
سبحانه عصم هذه الامة ان تجتمع على ضلالة ولم يعصم آحادها من الخطاء
لا صديقا ولا غيره لكن اذا وقع في بعضها خطا فلا بد ان يقيم الله فيها
من يكون على الصواب لان هذه الامة شهداء الله في الارض وهم شهداء
على الناس يوم القيمة وهم خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر فلا بد ان يقيم الله فيها من يامر بذلك المعروف فاما
الاحتجاج بفعل طائفة من الصديقين في مسالة نازعهم فيها مثلهم
او اكثر منهم فباطل بل لو كان المنازع لهم اقل عددا وادني منزلة لم تكن الحجة
مع احدهما الا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان الامة
امرت بذلك قال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الي الله والرسول ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الاخر فاذا تنازع الامراء والعلماء والزهاد ∴
والعباد في شيء فعليهم جميعهم ان يردوا ما تنازعوا فيه الي الله ورسوله
ومن المعلوم ان الصديقين الذين اباحوا بعض المسكرات والصديقين

الذين استحلوا نكاح المتعة واستحلوا الصرف واستحلوا نكاح التحليل واستحلوا ::
بعض المطاعم التي حرمها الشارع واستحلوا قتال اهل القبلة هم اسبق من هولاء
واكبر وخيرٌ منهم واعلم بالله ورسوله فاذا نهى من خالفهم عما نهى الله ورسوله
عنه من ذلك لم يكن لاحد ان يقول هذا انكار على كذا وكذا من الصديقين
وايمة المسلمين فان هذا الانكار من نظرائهم ومن هو اعلم بذلك منهم وان
كانوا اعلم منه بشيء آخر فالصديقون انكر بعضهم على بعض ورد بعضهم على
بعض وخطا بعضهم بعضا وكل ذلك لله وفي الله وفي مرضاته فصل وهاهنا
نكتة ينبغي التفطن لها وهي ان الله سبحانه سبق في قضائه وقدره وعلمه السابق
ان الامة لابد ان تختلف ويكون فيها من يستحل بعض ما حرمه بالتاويل جعل
للمختلفين سلفا صلحا خفي عليهم بعض ما جاء به رسوله فخالفوه متاولين
وهم مطيعون لله ورسوله وان اخطا واحكمه في بعض ما اختلفوا فيه للاشتباه
والخفاء كما يكون من خفيت عليه القبلة فصلى بالاجتهاد الي غير جهتها
مطيع الله ورسوله فلولا اختلاف المتقدمين لهلك المتاخرون ومن كمال
نعمته وتمام رحمته ان جعل في الامة من يعرف ما خفي على الاخر من الصواب
وكذلك هذا ايضا قد يخفي عليه الصواب في شيء آخر ويعرفه ذلك فمجموع الحق
عند مجموع الامة ووقوع مثل هذا التاويل ممن وقع فيه من الايمة المتبوعين
اهل العلم والايمان صار من اسباب المحنة التي امتحن الله بها عباده وفتنهم
بها وصار فتنة للطائفتين طائفة اتبعتهم على ذلك وقلدوهم فيه معرضين
عما امرهم الله ورسوله من اتباع الحق وحمل التعصب لكثير من اتباعهم
على انهم لم يقفوا عند الحد الذي وقف اولئك عنده وانتهوا اليه بل
اعتدوا في ذلك وزادوا زيادات لم تصدر من تلك الايمة ولو راوا من
يفعلها ويستحلها لانكروا عليه غاية الانكار وطائفة اخرى علموا تحريم
ما احله اولئك الائمة بالتاويل ووضحت لهم فيه السنة فاعتدوا على
المتاولين بنوع من الذم فيما هو مغفور لهم وتبعهم مقلدون لهم فزادوا
في الذم واعتدوا ولم يقفوا عند الحد الذي انتهى اليه من قلدوه والقول
الوسط والصراط المستقيم بين هذا وهذا ومعرفة المراتب واعطاء كل ذي
حق حقه واتباع القول الموافق لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وعذر
من خالفه مجتهدا متاولا واعتبر ذلك بمسالة السماع التي وقع فيها النزاع
فان الله سبحانه شرع للامة من السماع ما اغناهم به عما لم يشرعه حيث

اكمل

اكمل لهم دينهم واتم عليهم نعمته ورضى لهم الاسلام دينا وهو سماع القرآن الذي شرعه
لهم في الصلاة وخارجها مجتمعين ومنفردين حتى كان اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم اذا اجتمعوا امروا واحدا يقرا والباقون يستمعون وكان عمر بن الخطاب
يقول لابي موسى يا ابا موسى ذكرنا ربنا فلما انقرضت القرون الفاضلة حصلت
فترة في هذا السماع المشروع الذي به صلاح القلوب وسعادة الدارين وصار اهل
الفتور فيه احد رجلين رجل اعرض عن السماع المشروع وغير المشروع فاورثه ذلك
قسوة وفوات حظه من حقائق الايمان واذواقه ومواجيده ورجل اقبل على
سماع الابيات والقصائد وجعل شربه وذوقه منها والرجلان منحرفان وخير
منهما واصح سماعا من جعل سماعه وذوقه ووجده من الايات واقام الله
سبحانه من انكر على اهل السماع المحدث المبتدع وكان في المنكرين المقتصد والجافي
والغالي وصار على تمادي الايام يزداد المحدث من هذا السماع ويكثر الحدث
فيه ويزداد التغليظ من اهل الانكار حتى آل الامر الي انواع من التفرق والاختلاف
والمعاداه ومن ثبته الله بالقول الثابت اعطي كل ذي حق حقه وحفظ حدود
الله فلم يتعدها ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وحصلت الزيادة
في جميع انواع البدع وازدادت على الايام تغليظا فان اصل سماع القصائد كان
تلحينا بانشاد قصائد مرققة للقلوب تتضمن تحريك المحبة والشوق والخشية ::
والحزن والاسف وغير ذلك وكانوا يشترطون له المكان والامكان والخلان
ويشترطون ان يكون المجتمعون لهذا السماع من اهل الطريق المريدين لوجه الله
والدار الاخرة وان يكون الشعر المسموع خاليا عما تحظر الشريعة سماعه وتكرهه
وبعضهم كان يشترط ان يكون القوال منهم وبعضهم يشترط كون الذي
انشاء القصيدة من اهل الطريق الي غير ذلك من الشروط والاوضاع التي احترزوا
بها من مفسدات السماع ولكن لما كان الاصل غير مشروع آل الامر الي ما آل اليه
من الفساد الذي لا يعلمه الا الله لانه من عند غير الله فليس عليه حارس
وحافظ من الله بل هو بمدرجة كل سالك في الباطل وهو مجمع المنخنقة والموقوذة
والمتردية والنطيحة واكيلة السبع وما ذبح على النصب ثم انهم اضافوا الي هذا
الصوت ما ينفذه ويوصله الي شغاف القلب من الالات التي اخفها التغبير
وهو ضرب بقضيب على جلد او مخدة على توقيع خاص فعظم انكار الايمة
لذلك كالشافعي واحمد فقال الشافعي هو من احداث الزنادقة وقال احمد
بدعة ثم لم يقتصروا على هذه الحركة فتعدوها الي حركة الدفوف وهي اقبح

من حركة التغبير وفيها ما فيها وزيادة التشبه بالنساء فان الدف في الاصل انما هو للنساء عادة ورخصة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء ثم لم يقتصروا على هذه الحركة حتى تعدوها الي حركات الاوتار والعيدان التي هي في الاصل من احداث الفلاسفة اعداء الرسل ثم ضموا الي ذلك حركة الرقص التي سببها استخفاف الشيطان لاحدهم وركوبه على كتفه ودقه برجليه في صدره وكلما دقه برجليه ورقص على صدره رقص هو كرقص الشيطان عليه وقد شاهد ذلك بعض اهل البصائر عيانا ثم ضموا الي صوت الغناء صوت اليراع والشبابة وغيرها فاقتضت هذه الهيئة الاجتماعية حركة باطنه فان استماع الاصوات المطربة يثير حركة النفس بحسب تلك الاصوات وللاصوات طبايع متنوعة بتنوع اثارها في النفس وكذلك للكلام المسموع نظمه ونثره فيجمعون بين الصوت المناسب والحرف المناسب فيتولد من بينهما حركات نفسيه تثير كامنها وتزعج قاطنها وهذا امر يشترك فيه بنوا آدم من المومنين والكفار والابرار والفجار ويثير من قلب كل احد ما فيه ومعلوم ان النفوس فيها الشهوات كامنة ولكنها مقهورة مقيدة بقيود الاوامر فاذا صادفها السمع احياها واطلقها من قيودها وافتكها من اسرها واجلب عليها بكل معين ومحد وهذا امر لا ينكره الا احد رجلين اما غليظ كثيف الحجاب واما مكابر فمضرة هذا السماع على النفوس اعظم من مضرة حميا الكؤس ولما كانت المفسدة فيه ظاهرة معلومة اخرجه اهله في قالب يلطف ما فيه من المنكر فجمعوا عليه اخلاطا من الناس وقالوا ان هذا الاجتماع شبكة نصطاد بها النفوس الي التوبة ونسوقها بها الي الله والدار الاخرة ونعم والله هو شبكة واي شبكة يصطاد بها الشيطان النفوس المبطله الي ما هو اعظم من المعاصي الظاهرة ويقودها بها الي الغي والهوى فلهذا نسبه بهولاء الفساق من المخانيث والزناة وعشاق الصور فجعلوه شبكة لهم لصيد الاغيد والغيدا والغزال والغزالة ووضعوه على ما يليق بمقاصدهم من الاوضاع فشرطوا ان يكون المغنى لهم امرد جميلا تدعوا صورته وصوته وشكله ودله وحركاته الي تعلق القلوب به وعشقه فان فات فامراة كذلك واذا جمع السماع العاشق والمعشوق وتقابلا وتعانقا في الرقص فظن شرا ولا تسال عن الخبر واذا حضر المردان الحسان هذا السمع فهو عندهم الغاية ولا سيما اذا البسوهم المصبغات وزينوهم كما تزين العرايس واخلوا لهم طابق الرقص ودارحولهم العشاق والفساق كالهالة حول القمر

وادارو

وادارو اعليهم من الاعين النطاق فللشيطان لا لله كم من زعقه وصرخه وزفره وانة وحسرة ووجد واسف وحزن وكم من قلوب تشقق قبل الجيوب وعبرات تسكب في غير رضاء علام الغيوب فيالها حسرة ما احبها الي الشيطان وما ابغضها الي الرحمن ويتزايد الامر حتى يغنوا باشعار طالما عصى الله بها في الارض من اشعار الفساق والفجار المتضمنة لتهييج النفوس على ما يبغضه الله ويمقت عليه ومدح ما حرمه ولعن فاعله والابتهاج به والافتخار بنيله والتبجح بالوصول اليه وربما تعدوا ذلك الي الغناء بالاشعار الكفرية التى تحاد ما انزله الله كاشعار اهل الالحاد من الاتحادية والحلوليه والاشعار المتضمنة لكثير من الفاظ القرآن كقوله

قمت ليل الصدود الا قليلا ❦ ثم رتلت ذكركم ترتيلا
قل لراقي الجفون ان لجفني ❦ في بحار الدموع سبحا طويلا

ومر بالسورة يستفرضها هكذا الي آخرها وهذا فعل من لا يرجوا الله تعالى ولا لكتابه وقارا بل قد سقطت حرمة القرآن والدين من قلبه وكثيرا ما يغنون بابيات تتضمن اعتقاد الكفار وقد لا يدري المغني ولا السامعون بل قد يغنون بما لا يستجيزه الكفار من اهل الكتاب ولولا الاطالة لذكرنا من اشعارهم هذه كثيرا وزادوا ايضا في الات اللهو حتى تعدوا الي الات اليهود والنصارى والمجوس والصائبه على اختلاف انواعها وعظمت البلية واشتدت بذلك الفتنة حتى ربا فيها الصغير وهرم فيها الكبير واتخذوا ذلك دينا وديدنا وجعلوه من الوظائف الراتبة بالغدو والاصال وفي الاماكن والاوقات الفاضلات واعتاضوا به عن سماع الايات وعن اقامة الصلوات وقعدوا تحت قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات وتحت قوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فان المكاء هو الصفير وتوابعه الغناء والتصدية التصفيق بالايدي وتوابعه فاذا كان تمن هذا سماع المشركين الذي ذمه الله في كتابه فكيف اذا اقترن بالمكاء المواصل والشبابات وبالتصدية والدفوف المصلصلات والرقص والتكسر والتثني بالحركات الموزونات فكان القوم انما حل لهم المكاء والتصدية لما انضمت اليه هذه الموكدات فهناك ذهب حرامه وبقي حلاله وزال نقصه وخلفه كماله ثم يتفاقم امره الي ان يشتمل على ما يتضمن الكفر بالرحمن والاستهزا بالقرآن والطعن في اهل الايمان والاستخفاف بالانبياء والمرسلين والتحضيض على

جهاد المومنين ومعاونة الكفار والمنافقين واتخاذ المخلوق الها من دون رب
العالمين وجعل ذلك من افضل احوال العارفين ويفعلون في هذا السماع ما لا
يفعله اليهود ولا النصاري ولا الصائبة ولا المجوس فصار السماع المحدث
دائرا بين الكفر والفسوق والعصيان ولا حول ولا قوة الا بالله وكفره من اغلظ
الكفر واشده وفسوقه من اعظم الفسوق وابلغه فان تاثيره في النفوس من
اعظم التاثير يغذيها ويغنيها ولذلك سمي غناء ويوجب للنفوس احوالا
عجيبة يظن اصحابها انها جنس كرامات الاولياء وانما هي من الامور الطبيعية
المبعدة عن الله والشيطان يمد اصحابها في هذا السماع بانواع الامداد كما قال
تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون وقال للشيطان واستفزز من
استطعت منهم بصوتك وصار في اهل هذا السماع المحدث الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا ضد ما احبه الله وشرعه من دينه الحق الذي بعث به
رسله وانزل به كتبه من عامة الوجوه اذ صار مشتملا على اكثر ما حرمه الله
ورسوله فان الله تعالى قال قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن
والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على
الله ما لا تعلمون فاشتمل هذا السماع على هذه الامور الاربعة التي هي قواعد
المحرمات فان فيه من الفواحش الظاهرة والباطنة والاعانة على اسبابها والاثم
والبغي بغير الحق والشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا والقول على الله بغير
علم ما الله به عليم فانه تنوع وتعددت طرقه وتفرق اهله فيه وصاروا
شيعا لكل قوم ذوق ومشرب وطريق يفارقون به غيرهم حتى في الاشعار
والالحان والحركات والاذواق وصار من فيه من العلم والدين والايمان
ما ينهاه عما فيه من انواع الكفر والفسوق والعصيان يريد ان يحد له حدا
يفصل فيه بين ما يسوغ له منه وما لا يسوغ فلا يكاد ينضبط حتى ان منهم
من شرط شروطا يتعذر او يندر وجودها حتى انه اجتمع مرة ببغداد في
حال عمارتها ووجود الخلافة فيها اعيان الشيوخ الذين يحضرون السماع المصون
فلم يجدوا من يصلح له الا ثلاثة نفر او اربعة وسبب هذا انه ليس من عند
الله فوقع فيه الاضطراب والاختلاف وصار اهله من الذين فرقوا دينهم
وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ثم المصيبة العظمى والداهية الكبري
انه مع اشتماله على المحرمات كلها او اكثرها او بعضها يرون انه من اعظم القربات
واجلها قدرا وان اهلها هم صفوة اولياء الله وخيرته من خلقه ولا يرضون

بمساواة

بمساواة السابقين الاولين من سلف الامة وايمتها حتى يتفضلوا عليهم وفي غلاتهم
وزنادقتهم من يساوون انفسهم بالانبياء والمرسلين وفيهم من يفضل نفسه عليهم
الي غير ذلك من انواع الكفر وجماع الامر انه صار فيه وفيما يتبعه في وسائله
ومقاصده وصفته ونتيجته شبه مما في السماع الشرعي وما يتبعه في ذلك فاشتبه
الامر والتبس الحق بالباطل ونفوس اهله غالبا لا تميز لها وهذا اكثر اهله اهل
الجهل وضعفاء العقول ممن قل نصيبه من العلم والايمان واجدب قلبه من
حقايق القران كالنساء والصبيان واهل البوادي وجهلة الاعراب وهذا كان
اهله اذا عقدوه يتنزل عليهم المقت وحفت بهم الشياطين وغشيتهم السخط
وذكرهم ابليس فيمن عنده واهل السماع الايماني القراني اذا احضروه تنزلت عليهم
السكينة وغشيتهم الرحمة وحفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده فتقذف
الملائكة في قلوب اهل هذا السماع ما يزدادون به علما وايمانا وفي قلوب
اهل ذلك السماع ما يزدادون به نفاقا وعصيانا حتى ان آثار الشياطين لتوجد
على هذا السمع يراها كل صاحب بصيرة في صفحات وجوههم وفلتات السنتهم
وحركاتهم واحوالهم حتى ان كثيرا منهم ليصعق كما يصعق المصروع ويزبد كما
يزبد المصروع ويجري على لسانه من الكلام ما لا يفهم معناه ولا هو بلغته كما
يجري للمصروعين كما وجد ذلك في اقوام كانوا يتكلمون في سماعهم بلغات
الكفار وذلك لتنزل شياطينهم عليهم وتكلمهم على السنتهم وهم يظنون انهم
بذلك من اولياء الله وانما هم من اولياء الشيطان وحزبه وهذا يفعلونه
على الوجه الذي يحبه الشيطان ويكرهه الرحمن وذلك من وجوه احدها ان
العبادات الشرعية مثل الصلوة والصيام والاعتكاف والحج قد شرع فيها
من مجانبة مباشرة النساء المباحة في غيرها ما هو من كمالها وتمامها واعظم
ذلك الحج فليس من محرم يباشر فيه النساء ولا ينظر اليهن لشهوة والمعتكف
قريب منه والصايم دونه والمصلي لا يصاف المراة بل تتاخر عنه بل مرورها
بين يديه داخل السترة تقطع صلاته بالنص والمس لها بشهوة ينقض الوضوء
عند الجمهور ومطلقا عند الشافعي فاذا كان هذا في النظر والمباشرة المباح
في غير حال العبادة نهى الله عنه حال العبادة لمنافاته لها فكيف بالنظر الي
الصور المحرمة من الرجال والنساء والاستمتاع باصواتهن اذا كانوا هم المغنين
ولا يتم واجب السماع عند القوم الا بذلك والا كان سمجا باردا والحضور
الشاهد في السماع من باب ما لا يتم الا به عندهم وقد كان بعضهم يصلي

بالليل وقد اوقد شمعة على وجه امرد جميل الصورة يستجلي محاسنه في الصلاة
ويجد في قلبه من الباعث على الصلاة والسهر في العبادة امراً عجيبا ويعد
ذلك من عباراته وقرباته ولا ريب ان النفس تتحرك عند روية الصورة الحسنة
وسماع الصوت الحسن ما لا يتحرك لغيرهما فالاحوال والهمة التي تثيرها سماع
الالحان بمنزلة الاحوال والهمة التي تثيرها استجلاء محاسن الصور سواء وللشيطان
براطيل ومداخل فيلقي في قلب الرجل انك لا تنظر للفسق ولا تسمع للهو وانما
تنظر للعبرة وتتذكر ما اعد الله لعباده واوليائه عند لقائه من الصور
المستحسنات فاستدل بالشاهد على الغائب وعلى الباقي بالفاني الا ترى الى
قول القائل في من يحبه
فاذا رآك العابدون تيقنوا ❀ حور الجنان لدى النعيم الخالد
ويقول ايضا انما تسمع ايضا للفكرة والعبره وتاخذ من السماع ما لا ياخذ
غيرك واخبرني غير واحد ممن يجد من حاله وقلبه وهمته عند هذا
السماع وعند روية الصور الجميلة ما لا يجده في غيره فحركة القلب عند
السماع كحركته عند روية الصور التي امره الله ان يغض بصره عنها فهل
يقول عارف بالله وامره ان هذه الحركة بالله ولله كلا والله ان هي الا
بالنفس والشيطان وغايتها ان تكون حركة ممزوجة مركبة مما لله وللنفس
والشيطان هذا اعلا مراتبها والذي يكشف لك القناع هذه المخباة ويسفر
لك عن وجهها انك تجد كثيرا ممن يعاني الاعمال الشاقة اذا تعلق قلبه
بصورة جميلة او سمع صوتا حسنا ازداد حرصه وقوته وهمته على ما يعانيه
من الاعمال وحمل منه ما لا يحمله الخلي واستلذ سهر الليالي وركوب الاهوال
فان الحب يطير والرجاء يسير فيصادف تلك الصورة والصوت من
قلبه حبا كامنا لما هو بصدده فيزعجه ويثيره حتى تطوع له نفسه ببذل ما لا
تطوع من غيره فيصادف سماع الاصوات المطربه وروية الصور الجميلة
من قلب المريد نوع محبة لله والدار الاخرة فيثيرها ويزعجها لكن يقلبها
نفسانية ويدخل نصيب الشيطان وحظ النفس فيزاحمها وتشتبك احدى
المحبتين بالاخرى وتلتبس بها واكثر المريدين حظهم ناقص من العلم والتمييز
ويجد احدهم للمحبة وجدا وذوقا وليس له تمييز بين صحيحها وسقيمها ولا
يجد له عند من يلومه ويعذله شيئا من المحبة والذوق والانس الذي وجد
فيشتد نفاره منه ولا يصغى اليه ولا يعرج عليه فصل وانت اذا تاملت

العبادات

العبادات من الصلاة والحج والاعتكاف والصيام والوضوء رايت شان الصور
المباحة منافيا لها غاية المنافاة فالحج منع للمحرم فيه من النكاح والمباشرة والوطي
والاسباب الداعية اليه وفسد حجه ببعض ذلك وكذلك الاعتكاف نهى فيه
عن مباشرة الحلال من الصور والصيام دون ذلك وفي الصلاة منعت المراة
ان تؤم الرجال وان تسمعهم صوتها بالتسبيح عند ما ينوب في الصلاة وان
تقف في صفهم بل تتاخر عن صفوف الرجال وجعل مرورها بين يدي المصلي قاطعا
لصلاته ومسها بشهوة مبطلا لوضوء عند الجمهور وعند الشافعي مبطل
للوضوء مطلقا كل هذا لتخلوا العبادات من ملابسة الصور والتعلق بها
ويصير تعلق القلب كله بالله وحده فبدل الذين ظلموا دينا غير الذي شرع
لهم وجعلوا حضور الشاهد المليح والاصوات المطربة المهيجة على عشق
الصور قربة تقربهم بزعمهم الى الله وتدنيهم من رضاه وهذا من اعظم تبديل
الدين ومتابعة الشيطان وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس سره يحكى
عن بعض الملوك انه قال لشيخ راه قد عمل مثل هذا السماع واحضر فيه من
الصور الجميلة والاصوات المطربة ما احضره يا شيخ ان هذا طريق الجنة فاين
طريق النار وحكى لي شخص آخر مغنيا عزم على التوبة فقيل له عليك
بصحبة الفقراء فانهم يعملون على حصول الاخرة والزهد في الدنيا فصحبهم
فصاروا يستعملونه في السماع والاتكاء والنوبة تنتهي اليه لتزاحمهم عليه
فترك صحبتهم وقال انا كنت عمري تائبا ولا ادري الوجه الثاني ان التطريب
بالالات الملهية محرم في السماع الذي يحبه الله ورسوله وهو سماع القران
فكيف يكون قربة في السماع الذي لم يشرعه بل ذمه وذم اهله وهل يصح في
عقل او فطرة مذموم عند الله يضم الى مذموم آخر فيصير المجموع محبوبا
مرضيا فهذه الآفات ونحوها التي في السماع اعظم من افات الكبائر الظاهرة
والله المستعان الوجه الثالث كثرة ايقاد النيران بالشموع وغيرهما المفرق
للقلوب القاطع لها عن جمعيتها على الله حتى لو كان في الصلاة لفرق القلب
وشتته الوجه الرابع التنوع في المطاعم والمشارب والمشمومات على اختلاف
انواعها وليس هذا شان ارباب العبادات وانما هو شان اصحاب الشهوات
الخامس ما يقارنه من الرقص والتكسر والتخنيث الذي هو شيمة النساء وقد
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء السادس
ما يقارنه من الات اللهو والمعازف وقد ثبت في صحيح البخاري ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال يكون في هذه الامة قوم يستحلون الخمر والحرير والمعازف فجعل
استحلال المعازف بمنزلة استحلال الخمر ولبس الحرير والمعازف الات اللهو كلها من
الشبابة والطنبور والعود ونحوها السابع ما يقارنه من عشراء السوء وخلطاء الشر
الذين يضيعون الصلوات ويتبعون الشهوات قربون هذه السلعة وفرسان هذا
الميدان كل بطال وباطول ليس في قلبه محبة الله وخشيته والاستعداد للقائه بل
ولا معرفته ومعرفة دينه بل زبونه وفرسانه كل عاشق ومعشوق ومن قلبه هائم
في اودية اللهو واللعب وهمته عاكفة على محبة المليح والمليحة الثامن ما يقارنه من حركات
النفوس المختلفه والاصوات المنكره والحركات العظيمه التى لا يمكن ردها ودفعها بعد
قيام موجبها التام كما لا يمكن دفع السكر عن النفس بعد تعاطي اسبابه التاسع
انه مضاد لمقصود الصلاة وذكر الله فان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والسماع
يامر بالفحشاء والمنكر ومن انكر ذلك بلسانه فقلبه علم واهل هذا السماع يعلمون
من نفوسهم من الفحشاء والمنكر ما يعلمونه ولهذا يتقاضى من كل احد من الفواحش
بحسب استعداده فيتقاضى من بعض هولاء صحبة الاحداث الحسان الصور
ومشاهدتهم ومعاشرتهم وتمتلى قلوبهم من عشقهم وتالههم ويربطهم::
ابليس بالعفة عن الفجور بهم وقد ظفر منهم بما هو احب اليه من فجورهم بهم بكثير
فانه قد جعلهم تماثيل بين القلب وبين الله فهم لها عاكفون بقلوبهم وصاحب
الفجور الذي قد قضى شهوته وفرغ قلبه ولم يجعل تلك الصورة تمثالا بين قلبه
وبين الله احسن حالا منهم فليتدبر اللبيب هذه اللطيفة وليصرخ الى مقلب
القلوب ومصرفها ان يثبت قلبه على دينه ويصرفه على طاعته وقد ثبت في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العينان تزنيان وزناهما النظر واليد تزني
وزناها البطش والرجل تزني وزناها المشي والقلب يتمنى ويشتهي والفرج يصدق
ذلك او يكذبه فجعل لكل عضو من هذه الاعضاء زنا يخصه فكيف يتقرب الى
الله بزنا العين وان قال الناظر انا لا انظر لشهوة بل لعبرة قيل له فلم نهاك الله
عن النظر وامرك بغض البصر وقيل له اما ما دامت النفس حية والشيطان
موجودا والطباع على حالها فكلا وقيل له صاحب الشرع اعلم باحكام هذا
النظر منك حيث يقول لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الاخرى
وقيل له الشي متى كان نفسه مفسدة او داعية الى المفسدة فان الشارع يحرمه
مطلقا حكمة منه وصيانة وشفقة وحمية وقيل له كم قد هلك قبلك من هالك
بهذا الظن الفاسد ظن انه ينظر عبرة فاوقعه نظره في اعظم الحسرة كما قيل

وانا الذي جلب المنية طرفه   فمن المطالب والقتيل القاتل
وقال الآخر
وكنت متى ارسلت طرفك رائدا   لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر عليه   ولا عن بعضه انت صابر
قلت ولي من قصيدة
يا مرسلا لسهام اللحظ مجتهدا   انت القتيل بما ترمي فلا تصب
ارسلت طرفك ترتاد الشفاء فما   وافى رسولك الا رائد العطب

ولا سيما النفوس التى فيها دقة ولطافة ورياضة فان الصوت والصورة اسرع
تاثيرا فيها من النار في يابس الحطب حتى انها لتتقوت بذلك احيانا وبهذا
رضى الشيطان من هذه الطائفة فان لم يبال بعد ان اوقعهم فيما يفسد قلوبهم
واسماعهم وابصارهم ان لا يشغلهم بجمع الاموال وطلب الجاه والولايات فان
فتنة احدهم بذلك اعظم من فتنته بهذه الامور فان جنس هذه الامور مباح
وقد يستعان بها على طاعة الله واما ما شغل به هولاء نفوسهم فانه دين
فاسد منهي عنه مضرته راجحة على منفعته ولو لم يكن في هذا السماع من المفسدة
الا تشبه الرجال بالنساء فان الغناء في الاصل انما جعل للنساء وكذلك ما شرع
منه في الاعراس والاعياد انما شرع للنساء والجواري الصغار والولدان الحديثي
الاسنان فاذا تشبه بهم الرجل كان مخنثا وقد لعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم المخنثين من الرجال وكذلك من يحضرونه في السماع من الشاهد فيهم من
التخنيث بقدر ما شبهوا به من امر النساء وعليهم من اللعنة بقدر نصيبهم من
ذلك التشبه وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم باخراج المخنثين ونفيهم وقال
اخرجوهم من بيوتكم فكيف بمن يقربهم ويعظمهم ويتعبد قلبه بهم ويجعلهم
طواغيت يعظمون بالباطل الذي حرمه الله ورسوله وامر بعقوبة اهله واذلالهم
وهل هذا الا مضادة لله في امره وقد قال صلى الله عليه وسلم من حالت
شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في امره فاذا كان هذا في
الشفاعة بالكلام فكيف بمن يعظم المعتدين لحدود الله ويعينهم في ذلك ويجعله
دينا لا سيما اذا كان التعظيم بما هو من جنس الفواحش فان من يعظم القينات
المغنيات والمغنين ويجعل لهم نوع رياسة وعز لاجل ما يستمتع به منهن
من الغناء وغيره فقد تعرض من غضب الله ومقته وسلب نعمه عنه الى
امر عظيم ولله كم زالت بهولاء نعمة عمن انعم الله عليه فما رعاها حق رعايتها
وقد شاهد الناس من ذلك ما يطول وصفه وما امتلات دار من اصوات

هولاء والحانهم واصوات معازفهم ورهجهم الا واعقب ذلك من حزن اهلها
ونكبتهم وحلول المصائب بساحتهم مالايفي بذلك السرور من غير ابطاء وسل
الوجود ينبيك عن حوادثه والعاقل من اعتبر بغيره الوجه العاشر ان رفع الاصوات
بالذكر المشروع مكروه الاحيث جاءت به السنة كالاذان والتلبية وفي الصحيح عن
ابي موسى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فكنا اذا علونا
ارتفعت اصواتنا بالتكبير فقال يا ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لاتدعون
اصم ولاغائبا انما تدعون سميعا ان الذي تدعونه اقرب الي احدكم من عنق
راحلته وقد قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين وقال
واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والاصال
ولاتكن من الغافلين وقال تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا وقال الحسن البصري
رفع الصوت بالدعاء بدعة ونص عليه الامام احمد وغيره وقال قيس بن عباد
من كبار التابعين كانوا يستحبون خفض الصوت عند الذكر وعند الجنائز وعند
القتال وهذه المواطن الثلاثة تطلب فيها النفوس الحركة الشديدة عند الذكر
والدعاء لما فيه من الحلاوة ومحبة ذكر الله ودعائه وعند الجنائز بالحزن
والبكاء وعند القتال بالغضب والحمية ومضرة رفع الصوت بذلك اعظم
من منفعته بل قد يكون ضررا محضا وان كانت النفس تشتفي به وتبرا النبي
صلى الله عليه وسلم من الصالقة وهي التي ترفع صوتها بالمصيبة فكيف بالمغنية
التي ترفع صوتها بالغناء واما القتال فالسنة فيه ايضا خفض الصوت
واما هذه الدبادب والابواق والطبول فانها لم تكن على عهد الخلفاء الراشدين
ولا من بعدهم من امر المسلمين وانما حدثت من جهة بعض ملوك المشرق
من اهل فارس وانتشرت في الارض وتداولها الملوك حتى ربا فيها الصغير
وهرم الكبير لايعرفون غير ذلك وينكرون على من ينكره ويزعم بعض الجهال
ان هذا من احداث عثمان وليس الامر كذلك بل ولا من فعل من بعده من
الخلفاء وانما ورثته الامة من الاعاجم ولم يكن منه بل تحقيقا لقول النبي صلى
الله عليه وسلم لتاخذن امتي ماخذ الامم قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع
قالوا فارس والروم قال ومن الناس الا هولاء وكما في الحديث الاخر لتركبن
سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا
يا رسول الله اليهود والنصارى وبفارس والروم وظهور هذه الشبه في
الطوايف انما يعرفه من عرف الحق وضده وعرف الواجب والواقع وطابق بين

قال ومن والحديثان في الصحيح فاخبرانه لابد من ان يكون في الامة من يتشبه باليهود والنصارى صح

هذا

هذا وهذا وبين ما كان عليه السلف الصالح فاذا كان رفع الصوت في مواطن العبادات
بالذكر والدعاء الذي يحبه الله ويرضاه بدعة مكروهة لايتقرب بها الي الله فكيف
يكون رفعه بالغناء الذي هو قران الشيطان قربة وطاعة وقد سماه النبي صلى الله
عليه وسلم صوتا فاجرا احمق ونهى عنه الوجه الحادي عشر انه يامر بعشق الصور
الذي كرهه الله وينهى عن العفة وغض البصر الذي امر الله به فان الغناء يتضمن
التحريض على الفسق وذكر محاسن المعشوق ووصفها وذكر طيب وصاله وعذاب
هجره ولو غنى المغني باشعار العفة والتخويف من عذاب الله والترغيب في العمل
الصالح وذم الفواحش لاستسمجه الحاضرون واستثقلوه وتبرموا به وقالوا هذا
مبتدع مخالف لسنة الغناء ونعم هو مخالف لسنة الفساق الوجه الثاني عشر
انه يتضمن من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة ما هو معلوم من شانه فان
غالب زبونه وفرسانه لايصلون ومن صلى منهم فانه من الذين اذا قاموا الي
الصلاة قاموا كسالى يراون الناس ولايذكرون الله الا قليلا ومن صلى منهم لله
فانه صلاته خرجيته خالية عما ذكرناه من ذوق الصلاة ومواجيدها وحقايقها
لان قواه انصرفت الي ذوق السماع وصار شربه ووجده فيه ولا يجتمع الذوقان
والوجدان والحلاوتان في قلب واحد بل الامر كما قيل

سارت مشرقة وسرت مغربا ❊ شتان بين مشرق ومغرب

والله يعلم انا لم نتعد وصفهم ويعلم انهم كذلك بالجملة فمفاسد السماع
من جنس مفاسد عشق الصور وهي اكثر من ان يحصرها العد وانما يشهدها
القلب الحي والا فما لجرح بميت ايلام فصل قال صاحب الغناء حسن الصوت
مما نعم الله به على صاحبه من الناس قال تعالى يزيد في الخلق ما يشاء
قيل في التفسير انه حسن الصوت الحسن وذم الله تعالى الصوت القطيع
فقال ان انكر الاصوات لصوت الحمير قال صاحب القران كون الشيء نعمة
لايقتضي اباحة استعماله فيما شاء المنعم عليه فيما احب المنعم به ورضيه
فذلك شكر هذه النعمة التي يستوجب بها من شكرها المزيد فيقيد
بالشكر موجودها ويحصل به مفقودها فهذه النعمة تقتضي استعمال
الصوت الحسن في قراءة القران كما كان ابو موسى الاشعري يفعل ذلك حتى كان ابو موسى
النبي صلى الله عليه وسلم يستمع لقراته وقال مررت بك البارحة وانت
تقرا فجعلت استمع لقراتك فقال لو علمت انك تستمع لحبرته لك تحبيرا
وقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير ال داود واما استعمال النعم في

المباح المحض فانه لا يكون طاعة فكيف في المكروه او المحرم وايضا فمن المعلوم ان المال نعمة والجمال
نعمة والقوة نعمة فهل يسوغ لاحد ان يقول كون ذلك نعمة يقتضي جواز استعمالها
فيما لم ياذن له فيه رب النعمة وهل الاستدلال بهذا الا بمنزلة الاستدلال بنعم الله
من السلطان والمال والقوة على ما تتقاضاه الطباع من الظلم والفواحش ونحوها
فاستعمال الصوت الحسن في الاغاني بمنزلة استعمال الصورة الحسنة في الفواحش
واستعمال الجاه والمال في الظلم والعدوان وايضا فان هذه النعمة يستعملها الكفار
والفساق بالاصوات المطربة اكثر من استمتاع المسلمين فان عند المسلمين من
وازع الايمان والعوض بالقران ما ليس عندهم فاي حمد لهذه النعم بذلك ان لم
تستعمل في طاعة الله وقولك ان الله ذم الصوت القطيع فغلط بين فان الله
سبحانه لا يذم العبد على ما ليس من كسبه وفعله كما لا يذمه على دمامته وقبح شكله
وانما يذم العبد بافعاله الاختيارية دون ما لا اختيار له فيه وانما ذم سبحانه ما يكون
باختيار العبد من رفع الصوت الرفيع المنكر كما يوجد ذلك في اهل الغلظ والجفا
من الفدادين والصخابين بالاسواق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الجفا والغلظ
وقسوة القلب في الفدادين من اهل الوبر وهم الصياحون صياحا منكرا وفي صفة
النبي صلى الله عليه وسلم ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق وقال تعالى
عن لقمان في وصيته لابنه واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات
لصوت الحمير فامره ان يغض من صوته وان يقصد في مشيه كما امر المومنين ان يغضوا
من ابصارهم واصحاب السماع لا هذا ولا هذا بل اطلاق البصر ورفع الاصوات
والرقص فصل قال صاحب الغنا استلذاذ القلوب الاصوات الطيبة واسترواحها
اليها مما لا يمكن جحوده فان الطفل يسكن الى الصوت الطيب والجمال تقاسي تعب
السير ومشقة الحمولة فيهون عليها بالحداء قال تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت وحكى اسمعيل بن علية قال كنت امشي مع الشافعي وقت الهاجرة فجزنا بموضع
يقول فيه قوال شيا فقال مل بنا اليه ثم قال لي ايطربك هذا فقلت لا فقال مالك
حس قال صاحب القرآن لقد كنت ايها السماعي غنيا ان تستشهد على هذه
المسالة بحكاية مكذوبة مختلقة على الشافعي يعلم كذبها من له معرفة بالناس
وطبقاتهم والشافعي اخذ عن اسمعيل بن علية وهو من اكبر شيوخه واما ابنه
ابراهيم تلميذ عبد الرحمن بن كيسان الاصم فكان الشافعي يذمه ويقول انا مخالف
لابن علية في كل شيء حتى في قول لا اله الا الله فاني اقول لا اله الا الله الذي
كلم موسى من وراء حجاب وهو يقول لا اله الا الله الذي خلق في الهواء كلاما

اسمعه

اسمعه موسى وهذا هو الذي يذكر له في اقوال شاذة في الفقه واصوله ويظن من لا علم
عنده انه اسمعيل وليس الامر كذلك فان اباه اسمعيل من اجل شيوخ الشافعي
واحمد وطبقتهما ثم لو صحت هذه الحكاية لم يكن فيها الا ما هو مدرك بالاحساس
من ان الصوت الطيب لذيذ مطرب وهذا امر يشترك فيه جميع الناس ليس
مما تحتاج ان تستدل فيه بشهادة الشافعي بل ذكر الشافعي في مثل هذا تمضي من
منصبه كما ذكر ابن طاهر عن مالك تلك الحكاية المشهورة ولولا شهرة زهد احمد
وورعه لوضعوا عليه حكاية في اباحة السماع واهل المواخير والفساق والمبطلون
اعلم بهذه المسالة ولذة السماع وطيبه من ايمة الدين الذين رفع الله في العالمين
اقدارهم واعلا منازلهم فما لكم وللاستشهاد بهم في امر انتم اعرف به منهم وهلا
استشهدتم بهم في حكم هذه المسالة ومحلها من الشرع كما استشهدنا
بكلامهم في كون الصوت الحسن موجبا للذة امر حسي لكن اي شي في
هذا مما يدل على الاحكام الشرعية من كونه مباحا او مكروها او محرما
او كون الغنا طاعة وقربة وهل هذا الا نظير قول القائل استلذاذ
النفوس للوطي امر لا يمكن جحوده وكذلك استلذاذها بالنظر
والمطاعم والمشارب والملابس فاي دليل في هذا لمن هداه الله
الى ما يحبه ويرضاه ويامر به وياذن فيه وهل هذا الا اشبه للاباحية
الذين خلعوا ربقة الشريعة من اعناقهم القائلين ما الذي حال
بين الخليقة وبين رسوم الطبيعة ومن المعلوم ان جميع هذه
الاجناس فيها الحلال والحرام والمعروف والمنكر ثم المناسب لطريقة
الزهد والفقر والتصوف الاستدلال بذلك على كراهتها والبعد
منها وان يستدل بكون الشيء لذيذا مشتهى على كونه مباينا لطريق
الارادة والتصوف التي مبناها على الزهد في الحظوظ وهذه الطريقة
وان لم تكن صحيحة في الشرع فهي اقرب الى طريقتكم واصولكم من
الاستدلال بها على الاباحة والقربة وكلا الاستدلالين باطل فكون
الشيء لذيذا او مشتهى او ملايمة وروح اليه النفوس لا يدل على كونه
حلالا ولا حراما هذا ذم الله من اتبع الشهوات وذم من تقرب
اليه بترك ما اباحه منها فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين
وقال النبي صلى الله عليه وسلم للنفر الذين قال احدهم اما انا فاصوم

ولا افطر وقال الاخر اما انا فاقوم ولا افتر وقال الاخر اما انا فلا اتزوج
النساء وقال الاخر اما انا فلا اكل اللحم فقال لكني اصوم وافطر واقوم
وانام واتزوج النساء وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني
والعمل لا يمدح ويذم بمجرد اشتماله على اللذة وعدمها بل انما يمدح
منه ما كان لله اطوع ولعامله في الدارين انفع سواء كان فيه لذة
او مشقة فكم من لذيذ هو طاعة ومنفعة وكم من مشق هو معصية
ومضرة وبالعكس والمناسب ان يستدل بهذا على تحسين الصوت
بالقرآن لا على تحسينه بالغناء فان الاستعانة بجنس اللذات على
الطاعات والقربات مما جاءت به الشريعة كما قال تعالى يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من
طيبات ما رزقناكم واشكروا لله وفي الصحيح ان الله ليرضى عن
العبد يأكل الاكلة يحمده عليها ويشرب الشربة يحمده عليها
فيرضى عمن استعان باللذات على شكره وحمده وكذلك جعل في
مجامعة الرجل لاهله اجرا وقربة لاستعانته بهذه اللذة على العفة
والله سبحانه خلق فينا الشهوات واللذات لنستعين بها على كمال
مصالحنا وتمامها فخلق فينا شهوة الاكل واللذة به وهي من نعمه
علينا اذ بها بقاء نفوسنا وقوانا لنستعملها في طاعته فنتقوى
بها على مرضاته وخلق فينا شهوة النكاح ولذته وهي من نعمه
علينا اذ بها تكثير النسل الذي يكون منه من يذكر الله ويعبده
فاذا استعملنا هذه القوى فيما يحبه الله ويرضاه كان ذلك سعادتنا
في الدنيا والاخرة وكنا من الذين انعم الله عليهم وان استعملناها
فيما حرم علينا كنا ظالمين معتدين والله سبحانه خلق الصوت
الحسن وجعل فيه النفوس تحبه وتلتذ به فاذا استعنا بذلك على
استماع ما امرنا باستماعه وهو كلامه وحسنا اصواتنا بتلاوته
كما امر نبينا كنا ممن استعمل نعمه في طاعته كما كان الصحابة
يأمرون ابا موسى ان يسمعهم كلام الله بصوته الطيب الذي
استلذه رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمع له وشهد
له بانه من مزامير آل داود ففي مثل هذا السماع كانوا يستعملون
الصوت الحسن ويجعلون التذاذهم به عونا على طاعة الله وعبادته

باستماع

الالتذاذ صح

باستماع كتابه فيثابون على هذا الالتذاذ باللذة المامور بها كما يثابون على
لذاتها بالاكل والشرب واللباس والنصر والظفر المعينة لهم
على طاعته وكما يثابون على لذات قلوبهم بالعلم والايمان وحلاوته
وطيبه ونعيمه فانها اعظم اللذات وحلاوتها اصدق الحلاوات
ونفس التذاذه وان كان متولدا عن سعيه وهو في نفسه ثواب
سعيه فهو مثاب عليه ايضا فان المومن يثاب على عمله وعلى ما يتولد
من عمله وعلى ما يلتذ به من ذلك بما هو اعظم لذة منه فلا يزال
متقلبا في نعم ربه وفضله وهي تنمو وتتولد يولد له بعضها بعضا
كالتجارة والزراعة فاما ان يستدل بمجرد التذاذ الانسان بالصوت
او ميل الطفل اليه او استراحة البهايم به على جوازه واستحبابه
في الدين وانه قربة الى رب العالمين فهذا من الضلال المبين
واذا كانت الاطفال والبهايم تستروح بالاكل والشرب فهل يدل
ذلك على حل كل ~~اكل~~ ماكول ومشروب **فصل** واصل غلط هذه
الطائفة انهم يجعلون الخاص عاما والمقيد مطلقا فيجيئون الى
الفاظ في كلام الله ورسوله قد اباحت او حمدت نوعا من السماع
فيدرجون فيها سماع المكاء والتصدية ويعمون الى المعاني التي
دلت على الاباحة او الاستحباب في نوع من الاصوات والسماع
فيجعلونها دالة على نوع يضادها فهذا جمع بين ما فرق الله
ورسوله بينه بمنزلة من قاس الربا على البيع والسفاح
على النكاح ونظاير ذلك من الاقيسة الباطلة التي عبدت
بنظايرها الشمس والقمر وجعل اربابها لله اندادا سووهم
برب العالمين وكذلك من عدل برسول الله صلى الله عليه
وسلم بشرا يطيعه في كل ما امر او عدل بكلام الله كلاما آخر
او بشرعه شرعا آخر فهذا كله من اصول الشرك والضلال
وهذا مقام ينبغي لمن نصح نفسه وعمل لمعاده ان يتدبره ويتوقف
فيه فانه ما بدلت الاديان في سالف الازمنة وهلم جرا الا بمثل
هذه المقاييس فمن عمد الى كلام الله الذي انزله وامر باستماعه
فعدل به سماع بعض الاشعار و~~[illegible]~~ آثره عليه واخذ ذوقه
ومواجيده وصلاح قلبه منه فهو ممن اتخذ من دون الله

اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله ويا عجبا لمن ذاق
طعم الايمان كيف يعدل بالكلام الذى فضله على غيره كفضل الله
على خلقه وبالكلام الذى ما تقرب العباد الى الله باحب اليه منه
كلاما نزه الله رسوله واوليا ئه عنه وجعله صلاة للمشركين وقربانا
لهم وقرانا لعدوه الشيطان ورقية لمحارمه ومادة للنفاق وما
احرى هذا ان يكون من الذين يقولون تالله ان كنا لفي ضلال مبين
اذ نسويكم برب العالمين ونظير هذا سواء ما وقع فيه طوائف من
الجهال ممن ينتسب الى معرفة وارادة وزهد من الاستدلال بكون
الجمال نعمة على جواز التمتع بالصور الجميلة مشاهدة ومباشرة وعشقا
فهولاء في الصور واوليك في الاصوات لكن الواقعون في فتنة الصوت
فيهم من كان العقل والدين والمعرفة ما ليس في الواقعين في فتنة الصور — من صح
فانه ليس في اهل الصور رجل مشهور بين الامة بعلم ودين
وسلوك وخير بخلاف اهل الاصوات ولكن اهل الاصوات طرقوا لاهل
الصور الطريق ونهجوا لهم السبيل ونقطوا لهم وتادوا لهم المنازل
فخطوا وطيبوا لهم السير فساروا وحدوا بهم الى مطارح الجمال فطاروا
ودبدبوا لهم اللعب وغنوا لهم فاستفزهم الى المليح والمليحة الطرب
ووضعوا لهم سمر القدود وورد الخدود وتفكك النهود وسواد
العيون وبيا ض الثغور ونادوا حي على الوصال فما وصل الحبيب
بمحظور فاجاب القوم منادى الهوى اذ نادى بهم حي على غير
الفلاح وباعوا انفسهم بالغبن وبذلوها في مرضاة الصور الجميلة
بذل المحب اخى السماح تالله ما حمدوا عقب سيرهم لما حمد
القوم عند الصباح ولقد رايت من هولاء من يحتج بقوله ان — الشرى صح
الله جميل يحب الجمال وينسى قوله قل للمومنين يغضوا من
ابصارهم وينسى قول النبي صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم
من سهام ابليس فمن غض بصره اورثه الله حلاوة يجدها
في قلبه الى يوم يلقاه اوكما قال ويحتجون بحديث من عشق
وكف وكتم مات شهيدا ولم يعلموا انه خبر موضوع على رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتهم به النقاش ورمي لاجله بالعظايم
ويحتجون روى فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع ذلك المنشد

ينشد



ينشد هل علي ويحكما ان عشقت من حرج ؞ ؞ ؞
فقال لا ان شاء الله وهو حديث وضعه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعض الفساق كما تقدم ويحتجون بان العشق والمحبة غير
داخل تحت الاختيار ولا يملك العبد دفعه عن نفسه وما كان هكذا فان — دفعه صح
الله لا يعذب عليه وينسون ان تولعهم به وتعاطيهم لاسبابه
مقدوره وبه ~~وتعاطيهم لاسبابه~~ يتعلق التكليف فلما خانت اعينهم
وتمنت انفسهم واتبعوا النظرة النظرة تمكن داء العشق منهم فعز
على الاطباء دواءه كما قيل

توله بالعشق حتى عشق ؞ فلما استقل به لم يطق
راى لجة ظنها موجة ؞ فلما تقسط منها غرق

ويكرمون صاحب الصورة المليحة على ما يبذله لهم من صورته
وشهوده وتوابع ذلك كما يكرم صاحب السماع ذا الصوت
الحسن على ما يبذل لهم من صوته وان اجتمع فيه الامران نال
عندهم من الكرامة اعلاها ومن الحظوة منتهاها وهذا اذا راى
هولاء من جمع بين الصورة الجميلة والصوت اللذيذ من غلامة
وغلام عكفوا بقلوبهم وهممهم عليه وانقادت اسرارهم وجوارحهم
اليه وشقوا عليه القلوب قبل الجيوب وبذلوا في مرضاته
كل مطلوب وقد زين الشيطان لكثير من هولاء ان عشق
الصور الجميلة اذا لم يقارنه فاحشة محبة محمودة وانها محبة لله
وفي الله وهم نظراء اصحاب الاصوات المطربة فالطايفتان رضيعا
لبان ثدى ام تقاسما والعارف يعلم ان هذا اعظم من مواقعه
الكبيرة فانها معصية ادنى احواله ان يذم نفسه ويلومها
عليها ويخاف مقت الله وغضبه ولعنته واما هذا فمتقرب
متعبد بالعكوف على تمثال الجمال قد حال بين قلبه وبين
ذى العظمة والجلال فاين مومن فاسق قد جمع سيئة وحسنة
خلط عملا صالحا وآخر سيئا كما قيل

يخاف ذنوبا لم تغب عنه وليته ؞ ويرجوه فيها فهو راج وخائف

من مبتدع ضال جعل ما نهى الله عنه قربة وما كرهه الله
دينا وهو يرى المنكر معروفا والمعروف منكرا قد زين له

فان

سوء عمله فراه حسنا ومن جعل مالم ياذن الله به ولا احبه محبوبا
له فقد شرع دينا لم ياذن الله به وذلك باب الشرك كما قال
تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله محبة
الصور تعظم حتى تصير اندادا وطواغيت يتدين بها اهلها وتشرب
في قلوبهم اعظم من حب الذين اشربوا في قلوبهم العجل وكم بين
محبة عجل الى محبة غزال اغيد تسبي محاسنه القلوب وتاسر العقول
العقول فهولاء اشربوا في قلوبهم كما اشرب اولئك
في قلوبهم العجل وهذا بخلاف من مالت نفسه الى المحرمات مومنا
بان الله حرمها ويمقت عليها ويخاف عقابه على فعلها وانه
لا يحبه محبة محضة بل عقله وايمانه يبغض ذلك ويكرهه وينهى
عنه ولكن غلبه طبعه وهواه يدعوه الى ارتكابها على خوف
ووجل من الله فهذا ترجى له رحمة الله اما بان يوفقه لتوبة
نصوح تكفر عنه سياته او يستعمله في طاعة كثيرة وحسنات
ماحية ترجح سياته واما بمصائب تبليه بها ويكفر بها عنه واما
بغير ذلك من الاسباب التي يرحمه بها بخلاف من اعتقد ان
هذه المحبة لله فان طباعه واعتقاده يتعاونان على قوتها وزيادتها
ويجتمع فيها داعي الطبع وما يعتقده من داعي الشرع وهذا
الداء العضال الذي هلك به من هلك ونجى من سبقت له من
الله الحسنى فصل ومما ينبغي ان يعلم ان مجرد الحسن
لا يثيب الله عليه ولا يعاقب وليس في دين احد من الانبياء
محبة احد لحسنه ولو كان الحسن مما يرفع الله به درجة صاحبه
ويزيده به ثوابا لكان يوسف الصديق افضل من غيره من الانبياء
لحسنه واذا استوى شخصان في الاعمال الصالحة وكان احدهما
احسن صورة او احسن صوتا كانا عند الله سواء فان اكرم
الخلق عند الله اتقاهم ولكن صاحب الصورة الجميلة اذا صان
جماله عن محارم الله وعف عنها كان افضل من غيره من
هذا الوجه وهو بمنزلة صاحب المال والقدرة اذا عف عن قدرة
فانه افضل ممن عفافه اعفاف عجز فان ما امتحن به صاحب القدرة
والمال والجمال من الاسباب الداعية الى اتباع الهوى وقضاء

الشهوة

الشهوة اعظم مما امتحن به من خلا من ذلك فجهاد هذا وصبره اعظم
وهذا عام في جميع الامور التي انعم الله بها على بني آدم وابتلاهم بها
فمن كان فيها شاكرا صابرا كان من اولياء الله المتقين وكان افضل
ممن لم يمتحن وان لم يكن المبتلى صابرا شكورا بل فرط فيما امر
به ونهى عنه كان له حكم امثاله وكان سلم من هذه المحنة خيرا منه
فمن امتحن وصبر فهو خير الاقسام ويليه من سلم من المحنة والثالث
من امتحن فوقع فهو الماخوذ المعاقب الا ان يتداركه الله فمن كان
له مال يتمكن من انفاقه في الفواحش والظلم فخالف هواه وانفقه
فيما يبتغي به وجه الله فهو نظير من كان له حسن وجمال فعف
به عن محارم الله وصانه عن الفواحش ونظير من كان له صوت
حسن فصانه عن الغنا ومزامير الشيطان واستعمله في تزيين
كتاب الله والتغني به كان كل واحد من هولا يثاب على عمله الصالح
الذي يشاركه فيه من ليس له مثل ذلك الجمال والصوت والمال
ويثاب ثوابا آخر على صبره فيما تتقاضاه منه الصورة والصوت
والقوة الى مرضاة الله وتعطيلها عن مساخطه فثوابه يشبه المجاهد
فصاحب الصوت الطيب المطرب الذي يمكنه ان يغني بالشعر
اذا قرا القران بصوته الطيب وتغنى به اثيب ثواب من تغنى
بكتاب الله وترك التغني بالشعر ويثاب ايضا على قصده
اسماع اهل الايمان كتاب الله ولذتهم بقراته وانتفاعهم
بها فيثاب ثلثة انواع من الثواب بالقصد والنية ثواب
المجاهد وثواب التالي وثواب المحسن النفاع لغيره فان شهد
مع ذلك اذن الله عز وجل لقراته واستماعه لها فقرا بصوته
الطيب لياذن الله له ويستمع لقراته كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم ما اذن الله لشي كاذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقران
يجهر به وقال لله اشد اذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقران
من صاحب القينه الى قينته ~~الذي هو خير اللباس~~ فثواب
ذلك امر آخر ومن كان له جمال وحسن فعف عما حرم
الله وخالف هواه وكسا جماله وحسنه لباس التقوى الذي هو
خير اللباس كان من هذا الوجه افضل ممن لم يوت مثل هذا

والله تعالى اعلم تم ٢ ٢ ٢